

٥٧

سلسلة
التصوير
الإسلامي



شُبَهَاتٌ حَوْلَ الْإِسْلَامِ

د / محمد عماره



www.nahضۃ.eg

١٢٣٦ ناشر و مطبخہ و توزیع

فِي التَّنْوِيرِ الْإِسْلَامِ

٥٧



شِبَّهَاتُ حَوْلِ الْإِسْلَامِ

تألِيف

دُ. محمد علاء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



اسم الكتاب:	شهادات حول الإسلام
اسم المؤلف:	د. محمد عماره
الإشراف عام:	داليا محمد إبراهيم
تاريخ النشر:	يناير ٢٠٠٤
رقم الإيداع:	٢٠٠١ / ١٧٧٨٣
الترقيم الدولي:	I. S. B. N 977 - 14 - 1654 - 5
الناشر:	دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيس:	A. المنطقة الصناعية الرابعة مدينة السادس من أكتوبر
مركز التوزيع:	٦ ش. كامل صدقى - الفجالة - القاهرة - ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٩٨٩٥ - ٢٩٠٢٩٦
فاكس:	٢٢٠٢٨٩ - ٢٢٠٢٨٧ فاكس: ٢٢٠٢٩٦
email:nahda@giga.net	
الادارة العامة:	ص. ب: ٩٦ الفجالة - القاهرة - ٢١ ش. أحمد عرابي - المهدىين - الجيزة ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٦٦٤٨٦٤ - ٢/٣٤٦٦٤٨٦٤
ص. ب: ٢٠ امية:	فاكس: ٢٢٠٢٩٦٧٦
	www.nahdetmisr.com

تقديم

هذه سبع شبهات ، طلب مني الإجابة عليها «مكتب القاهرة» موقع «Islam On Line» على شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت» .. وهى شبهات بعث بها ، طلباً للإجابة عنها ، والكشف عن حقائقها «مجموعة من طلبة الدكتوراه العرب الدارسين في بريطانيا .. والذين التفوا بجموعة من الشباب المسلمين ، من جنسيات عربية وأخرى آسيوية ، يتبنون «فكراً جديداً» هدفه «التجدد ومقاربة الدين الإسلامي بالعصر» ويقول أصحاب هذا الفكر : «إنهم لا ينتمون للعلمانية أو إلى أي تيار مثل تيار التغريب الذي ابهر أهله بتالي الحضارة الأوروبية» .

ويقول السائلون - طلبة الدكتوراه - عن أصحاب هذه الشبهات : «إن أكثرهم ، وخاصة الآسيوبيين منهم ، قد ولدوا ونشوا في بلاد الغرب ، ولا ينتمون لأوطانهم الأصلية لا من قريب ولا من بعيد ..» .

ويعرف السائلون بأنفسهم - فكرييا - فيقولون : «وحيث إننا نعتبر أنفسنا من الداعين إلى التجديد ، على الطريق الذي يسير عليه كثير من رواد تجديد الفكر الإسلامي ، أمثال الدكتور محمد سليم العوا والدكتور محمد عمارة وغيرهم كثير والحمد لله ، هؤلاء

هم أساتذتنا الذين نفخر بهم ونجلهم ونعتبرهم فادتنا إلى المستقبل
المشرق بإذن الله .

إننا نؤمن بأن تجديد الفكر الإسلامي سنة من سنن الله ، وأنه يجب أن يكون دائم الفعل على مر العصور ، وأن مبدأنا هو كما يقول الدكتور محمد عمارة : « إن عقلانيتنا الإسلامية المتميزة قد وازنت بين الحكمة وبين الشريعة ، وتأخى فيها العقل والنقل
للهداية الإنسان » .

وإذ نحن نكتب إليكم هذه الرسالة نطلب منكم النصح والإرشاد ، أملين من الله - تعالى - أن تستجيبوا لمساعدتنا وإبداء الرأي حول هذا الفكر الجديد الذي جعلنا في حيرة من أمرنا ..

* * *

أما الشبهات السبع - التي وردت بالسؤال - فمنها ثلاثة حول
القرآن الكريم :

الأولى: في التشكيك بحفظ الله للقرآن .

والثانية: حول تاريخية وتوقيت وتجاوز الواقع المتظور لأحكام
آيات القرآن .

الثالثة: حول الحروف والكلمات التي جاءت فواع لبعض سور
القرآن الكريم - من مثل (آل) و (حم) ..

ومن هذه الشبهات الثالثة حول رسول الله - عليه -

الرابعة: حول عصمته .

الخامسة: حول الأحاديث النبوة .

والشبهة السادسة: حول موقف العقل من النقل .

أما السابعة: - والأخيرة - فهي حول البنوك ومعاملات النظام المصرفي المعاصر ..

وكلما أوردنا سؤال السائلين بتصه ، فإننا نورد كل شبهة ينصلها - كما جاءت في السؤال - ثم تتبع ذلك بالجواب .. الذي حاولنا فيه الاحتكام إلى ما يميل للاحتجاج به والاحتكام إليه أصحاب هذه الشبهات ..

وهذا منهاج في الحوار علمنا إياه رسول الله - ﷺ - عندما قال : «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم ... وعلمنا إياه أسلافنا - من البلاغيين - عندما عرّفوا البلاغة بأنها مراعاة مقتضي الحال ..

إن عظمة الإسلام تتجلى في سطوع حجته عن طريق مختلف الوان الاستدلال والحجاج .. فهو دين الفطرة الذي تشع أنواره على الفطر الإنسانية السوية دائمًا وأبدا .. وهو دين العقل الصريح ، حتى لقد قال فلاسفته بإمكان وصول العقل الصريح إلى «شريعة عقلية» موافقة لمقاصد الشريعة الإسلامية التي شرعها الله - سبحانه وتعالى - وأوحى بها إلى رسوله - عليه الصلاة والسلام ..

والإسلام - كذلك - دين النقل ، الذي تميز بالحفظ والإعجاز . .
ثم هو الدين الذي تشهد آيات الكون المنظورة لآيات وحبيه
المسطورة بين دفتي القرآن الكريم . .

وإذا كان واجب العلماء - الذي ورثهم إيهـ الأنبياء - هو تبليغ
الدعاوة الإسلامية . . وإقامة الحجـة على صدقها . . وإزالة الشبهات
المارة من حولها . . فإنـنا نرجـو أن تكون هذه الصفـحـات قـياماً
بعـضـ هذا الـواجـب . . واسـهـاماً فـي فـريـصـةـ المرـابـطـةـ عـلـىـ ثـغـورـ
الـإـسـلـامـ . .

وـالـلـهـ نـسـأـلـ أـنـ يـنـفـعـ بـهـاـ . . وـأـنـ يـتـقـبـلـهاـ خـالـصـةـ لـوـجـهـهـ الـكـرـمـ . .
إـنـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ . . أـفـضـلـ مـسـئـولـ وـأـكـرـمـ مـحـبـ . .

دكتور
محمد عمارة

الشَّبَهَةُ الْأُولَى: حَوْلَ حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

«... هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ حُفِظَ»، كَمَا تَقُولُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وَيَقُولُونَ: قَدْ يَكُونُ الذِّكْرُ
جُزْءًا مِّنَ الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ كُلَّهُ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِكَلَامِ لِعْمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِأَنَّهُ أَقْسَمَ عَلَى أَنَّ هُنَّاكَ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ تَشَهِّدُ عَنِ الرَّجْمِ
- وَهَذِهِ الْآيَةُ غَيْرُ مُوجَودَةِ - وَأَنَّ عَنْتَمْ أَكْلَتُ وَرْقَةً مِّنَ الْقُرْآنِ كَانَتْ
بِيَدِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -

الجواب:

وَفِي الْجُوَابِ عَنْ هَذِهِ الشَّبَهَةِ نَسَأْلُ :

لِمَذَا يَعْثُثُ اللَّهُ - سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى - الرَّسُولَ وَأَنْزَلَ الْكِتَبَ؟

لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ رِعَايَةً مِّنَ اللَّهِ خَلْقَهُ . . . وَلَطَّافَا بِهِمْ . . . وَحْسَنَ يَكُونُ
حَسَابَهُ لَهُمْ - كَمَّ لَا يَتَسَاوِي الْخَيْرُ وَالْمُسَيْءُ - وَجَزِاءُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى
أَفْعَالِهِمْ عَدْلًا إِلَهِيَا خَالِصًا . . . ﴿وَإِنْ مَنْ مِنْ أَمْمَةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ﴾
فَاطِرٌ : ٢٤ - ﴿وَمَا كَنَّا مَعْذِلِينَ حَتَّى يَعْثُثَ رَسُولًا﴾ الإِسْرَاءُ : ١٥
- ﴿لَنَّا لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ﴾ النِّسَاءُ : ١٦٥ -
وَقَبْلَ خَتْمِ النَّبِيَّةِ وَالرِّسَالَةِ كَانَتْ مَهْمَةُ حِفْظِ كِتَابِ الرِّسَالَاتِ

والشرائع موكولة إلى أئم هذه الرسالات ، كجزء من التكليف لهم
والاختبار لاستقامتهم في هذا التكليف ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيَانِيُّونَ
وَالْأَحْجَارُ بِمَا اسْتَحْفَطُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شَهِداءَ فَلَا
تَخْشُوا النَّاسَ وَالْخَشُونَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة : ٤٤ - . . لكنهم
فرطوا في القيام بتكليف الحفظ للكتب - بالنسیان حينما
وبالتحريف والإخفاء حينما آخر - ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِّثْقَلُهُمْ لَعْنَاهُمْ
وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ فَاسِيَّةً يَحْرُفُونَ الْكَلْمَ عنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسَوا حَظَّاً مِّمَّا
ذَكَرُوا بِهِ وَلَا تَرَأَلْ تَطْلُعُ عَلَى حَانَةِ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاصْفُحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى
أَخْذَنَا مِثْقَلَهُمْ فَسَوْا حَظًا مِّمَّا ذَكَرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ
وَالْيُغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسُوفَ يَبْئِثُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤)
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يَبْيَنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تَحْفَوْنَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مِّنْ (١٥)
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنْ أَنْبَعِ رِضْوَانِهِ سَبِيلَ السَّلَامِ وَيَخْرُجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ يَأْذَنُهُ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ المائدة : ١٣ - ١٦

وعندما كانوا يحرفون هذه الكتب ، أو ينسون بعضها ويحفون البعض الآخر ، كان الله يبعث رسولاً جديداً بكتاب جديد ..

أما عندما أراد الله - سبحانه وتعالى - مع بلوغ الإنسانية سن الرشد - ختم النبوات والرسالات بتبوءة رسالة محمد - ﷺ - فكان لابد لحفظ كتاب الشريعة الخاتمة من حافظ لا يجوز عليه الإهمال ، ولا يتأنى منه التحريف ، ولا يليق به التسيان .. أي كان لابد من الحفظ المقصوم الدائم للكتاب المعجز الحالى .. لأن ترك حفظ الكتاب الخاتم للبشر ، الذين يجوز عليهم الإهمال والتحريف والتسيان معناه طرده وحدوث التحريف والضياع لهذا الكتاب ، حيث لا وحي سينائي ولا رسول سيبعث ولا كتاب سينزل .. الأمر الذي لو حدث - افتراضاً - سيضل الناس ولا رعاية لهم ، ولا حجة عليهم ، تجعل من حسابهم وجزائهم عدلاً إلهياً مناسباً ..

ولذلك ، انتقلت مهمة حفظ الوحي الخاتم - القرآن الكريم - في الرسالة الخاتمة ، إلى الله سبحانه وتعالى ، الذي لا يختلف حفظه أبداً ، بعد أن كانت هذه المهمة في الرسالات السابقة ، استحفاظاً من الله للناس ، أي طلباً منه لهم أن يحفظوا ما أنزل عليهم من الكتاب .. فكان الوعد الإلهي المؤكّد (إِنَّا نُحْنُ نَرْزَقُنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر : ٩ - ..

ولذلك ، هيأ الله لتدوين القرآن الكريم من كتبه الوحي ما لم يتهيأ لكتاب سابق .. وجعل جموعه وعداً إلهياً وإنجازاً ربانياً « لا تحرك به لسانك لتعجل به » إن علينا حممه وفراشه (١٧) فإذا قرأناه فائج فرأيه (١٨) ثم إن علينا بيانه « القيامة . ١٦ - ١٩ . . . » فكان الحفظ للقرآن - كل القرآن - وعداً إلهياً ، وإنجازاً ربانياً ، وذلك حتى تستمر حجة الله على عباده ، ويكون حسابه لهم عدلاً خالصاً .

* * *

ولم يقل أحد ، ولا جائز في العقل - فصلاً عن الغفل - أن يقال : إن الذكر ، الذي نعهد الله بحفظه ، هو بعض القرآن ، وليس كل القرآن .. لأن صياغ أي جزء من القرآن إنما يعني تحالف رعاية الله خلقه ، وسقوط حججته على عباده .. ثم إن القرآن لا يقف بالحفظ عندما يطلق عليه الذكر ، فصلاً عن أن مصطلح الذكر إنما يشمل كل القرآن .. تشهد على ذلك الآيات الكثيرة في كتاب الله .. فالمراد بالذكر القرآن .. كل القرآن .. والكتاب .. كل الكتاب - وليس بعده - بدليل قول الله - سبحانه - : « فاسألو أهل الذكرهم - الأنبياء : ٧ - أي أهل الكتب السابقة .. والله يشير إلى القرآن والتنزيل - أي كل ما نزل به الوحي - بلغة الذكر »

«أو عجّتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيَنذِرَكُمْ» -
 الأعراف : ٦٩ - «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ
 لِمُحْكَمٌ» - الحجر : ٦ - «وَنَزَّلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتَبْيَنَ لِلنَّاسِ مَا
 نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلِتَعْلِيمَ بِمَا تَفَكَّرُونَ» - التَّحْمِيد : ٤ - «وَهَذَا ذِكْرٌ مِّنْ رَبِّكَ
 أَنْزَلْنَاهُ أَفَإِنَّهُ لَهُ مُكَفِّرٌ» - الانْبَاءُ : ٥٠ - «إِنَّهُ لَا ذِكْرٌ
 وَفِرَانٌ مُّبِينٌ» - سـ١٣٩ - «وَإِنْ يَكُادُ الدُّسُّ كُفَّرُوا لَيَرْتَفَعُونَكَ
 بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لِمُحْكَمٌ» - «وَمَا هُوَ إِلَّا
 ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» - القلم : ٥٢ - «وَالذِّكْرُ هُوَ كُلُّ مَا حَادَهُ
 الْوَحْيُ» ، فَإِنَّهُ حِيٌّ هُوَ الذِّكْرُ «فَامْتَسَكَتْ بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ
 عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (١) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَنَقْوَمُكَ وَسُوفَ تُسْأَلُونَ «
 الزَّخْرُفٌ» : ٤٤ - «بِلَّ إِنْ سَبَاقَ أَيْةً إِلَّا لَهُنْ بِالْأَذْكُرِ»
 شاهد على أن الذِّكْرَ والقرآن والكتاب هو الوحي «الرَّبُّ تَلَكَ آيَاتِ
 الْكِتَابِ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ» - «وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ»
 «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ لِمُحْكَمٌ» - «إِنَّهُ لِمُحْكَمٌ
 نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّهُ لَهُ لَحَافِظُونَ» - الحجر : ١٧، ٤٠، ٦٩

ثم إن القرآن الكريم يؤكد أن الخشطة ، ولغتها الشائكة والمريرة إنما هو
 لكل القراء ولجميع التربيل ، وليس لبعض القراء ذلك الكتاب

لا ريب فيه هدى للمتدين ^ف - السورة : ٢ - « تنزيل الكتاب لا ريب
فيه من رب العالمين » - السجدة : ٢ - « ^ف ذلك نأم الله نزل
الكتاب بالحق » - السورة : ١٤٦ - « نزل عليك الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه » - آل عمران : ٣ - « إِنَّمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الكتاب بِالْحَقِّ لِتُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ » - النساء : ١٠٥ - « وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مَصْدِقاً لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمِهِيمَا
عَلَيْهِ » - المائدة : ٤٨ - « مَا فِرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ سُرْهِ » -
الأعراف : ٣٨ - « وَنُوَصَّاعَتِنَّا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ » - أى القراءات
والتربيط - حدث التعمير الذي تتباهى هذه الآية ، ولا تستحب حجحة
الله على البشر ^ف وهذا كتاب أنزلناه مباركاً فاتسعاً واتقوا علّكم
ترحمون ^(١) أَنْ تقولوا إِنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ عَلَى عَلَّاقَبَيْنِ مِنْ قِبَلِا
وإن كنا عن دراستهم لغافلين ^(٢) أَوْ تقولوا إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ
الْكِتَابَ لَكُمْ أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ حَاءَ كُمْ بَيْنَهُمْ مِنْ رِنْكِمْ وَهَذِي
وَرَحْمَةٌ » - الأنعام : ١٥٥ - ١٥٧ - « فَحِجَّةُ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ -
بعد ختمه الوجه بالقرآن الكريم - تنتهي وتسقط إذا حدث جهل
 بشيء مما أنزل في الكتاب .. القرآن - « وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قُرْيَةٍ إِلَّا
وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ » - الحجر : ٤ - « .. وَلَوْ أَنَّ الْقُرْآنَ ضَانَ مِنْهُ
شئْ .. لَتَخْلُفُ وَعْدَ اللَّهِ بِتَنْزِيلِ تَبْيَانِ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ ، إِنَّمَا شَهَادَةُ

الرسول - عليه - على أمةٍ شهيداً عليهم
من أنفسهم وحنا بكم شهيداً على هؤلاء، ونورنا عليك الكتاب تبياناً
لكل شيءٍ وهدى ورحمة وشري ل المسلمين ۝ - التحليل ۸۹ -

وختتم النبي والرسالة ، يعني النهاية بعث رسولٍ جديدٍ ، وبه ولد
كتابٍ جديدٍ . وحتى تقوم حجّة الله على عباده لا بد من بقاء
القرآن كله محفوظاً ، ليكون فيما على الناس ، أي دأبتم القيام على
هذا نتهم وإرشادهم ۝ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم
 يجعل له عوجاً ۝ فيما لم يذرناساً شديداً من لدنه ويشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات أن لهم أحراماً ۝ - الكهف ۲۰، ۱ -

وإذا كان الكتاب هو كلام القرآن . فلقد وعد الله - سبحانه -
 بأن يحفظه وبيرثه للذين اصطفهم من عباده ، بعد أن أنزله على
المصطفى من رسليه ، وحمسه وفراء ۝ والذى أوحينا إليك من
الكتاب هو الحق مصدق لما بين يديه إن الله بعباده تخبر بغير
ـ () ثم أورثنا الكتاب الدين اصطفينا من عبادنا فمنهما ظالماً ل نفسه
ومنهم مُقتضي و منهم ساق بالخبرات يادن الله ذلك هو الفضل
الكبير ۝ - قاطر : ۳۱ - ۳۲ ..

ومن صفات القرآن - كل القرآن - آله كتاب عزيزه ، ألم منبع ،
محفوظ من العجائب به و فيه .. وأنه متسع عن الإبطال ، لا يأبه
لbatyal من بين يديه ولا من حلقه . بأى حال من الأحوال « إن
الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإله لكتاب عزيزه (١) » لا يأبه
الباطل من بين يديه ولا من حلقه تربيل من حكيم حمد
فصلت ٤٢، ٤١ - والذكر في هذه الآية هو كل الكتاب ،
العزيز على أي عنت به وفيه

ومن صفات القرآن - كل القرآن - آله كتاب على حكيم ، هو ق
تطاول المقاولين . يسرّ كتابوا أو أرمه ودهروا « إنا جعلناه فرما
عرباً لعدكم تعتلون » (٢) وإله في آدم الكتاب لدينا العلي حكيم «
الحرف : ٤٠ - ٤١

ومن صفات القرآن - كل القرآن - آله في كتاب مكتوب ، ألم
مصون ومحفوظ عن اللعب والغيب والشحريـف « (آله لقرآن كريم)
(٣) في كتاب مكتوب » - (وافعة ٧٧، ٧٨)

ولقد صدق التاريخ على هذا الحفظ الائتمـل لهذا القرآن المجيد .
ومن يقرأ تاريخ التوراة - حتى ذلك الذي كتبه علماء اليهودية -
يعلم ما أصابها بعد سقوط من نزولها . وكيف أعيـدت كتابة
أسفارها على النحو الذي صنعه « عـزـيزـاً - عـزـيزـاً » - وأعيـدة من
الأحـارـرـ ، في صورة مـعـبـدـةـ بالـشـحـريـفـ . ومن يتأمل تفاصـلاتـ

الأنجيل - حتى الشهيرة منها - والغروق الجوهري بينها وبين غير
الشهيرة - من مثل أناجيل «مخطوطة شمع حصادن» ،
و«مخطوطة البحر الميت» أو «النجيل الروماني» يعلم ما أصحاب الإنجيل
بعد سنوات معدودة من بعثة المسيح ، عليه السلام . لكن .. هنا
هو القرآن الكريم كما ذكر به الروح الأمين على قلب العصادق
الأمين ، لم يتغير فيه حرفة ولا رسم ولا حركة ولا لفظة ولا ماء ..
وقد مضى على سروله أكثر من أربعة عشر قرنا ، صرت فيها أمته
بأطوار من التراجع والانحطاط . وقدرت فيها الذاكرة الإسلامية
سلاميين المخطوطة التي أبادتها عربوات الطعنة - واندثرت فيها
هذه الأئمة والفقهاء . وظل القرآن الكريم عزيزاً مسيعاً محفوظاً بحفظ
الله خير الحافظين . فال التاريخ - هو الآخر - قد عدا شاهداً على
هذا الحفظ الإلهي لكل القرآن الكريم ..

فبرهان العقل - المتعلق بحتم الرسالة .. وحتم الوجه ..
يجعل حفظ القرآن - كل القرآن - لإقامة أخجة على الناس -
ضرورة عقلية ..

وكذلك الفعل المتكرر في القرآن - بلغة القرآن .. والكتاب ..
والتنزيل .. والذكر .. شاهد هو الآخر على الحفظ الإلهي لكل
حرف وكل كلامه وكل آية وكل سورة من هذا القرآن الكريم . فهو
وحبي الله أخاته . تعهد - سحابة وتعالى - جمجمه وشره ..

وحفظه . حجة خالدة ، كى لا يكون للناس على الله حجة إذا ما
ضاع شيء من هذا التنزيل العزيز الميع الحكيم .

* * *

أما بعض الروايات التي يفهم منها البعض شكوا في حفظ كل ما
نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من القرآن . فإن منطق العقل ، ومنهاج
البحث العلمي . وقواعد نقد النصوص والروايات ، التي تتفق عليها
العلماء والعقول ، من كل الحضارات والخلفيات والأفاق الفكرية
كلها تؤكد على ضرورة الموارنة بين المتعارض والمتناقض من
الروايات . والأحد بالتصدر الأدق عدد نعذر الجمع بين الروايات .
إذا كان لدينا - على نحو ما قدمنا - شهادة العقل الصريح على أن
حفظ القرآن - كل القرآن - هو ضرورة عقلية ، فتضفيها حقيقة حتم
النبوة والرسالة وأكمال الوحي . وإذا كانت شهادة العقل الصريح
هذه مدعومة بخصوص آيات القرآن الكريم . أى بالتصدر المعنجز ،
فطغى الدلالة والثبت . . فهل يكون عاقلاً من يترك شهادة العقل
الصريح . والنيل العجر الصحيح . ويلتفت إلى رواية من الروايات
يعلم الله من رواها؟ ولماذا رواها؟

إن منطق البحث العلمي ، الذي أجمع عليه كل عقلاه الدنيا ،
في التعامل مع النصوص . قد حسم هذه القضية . . التي سرجوا أن
تكون هذه الإحاجة حاسمة للتشهيد المثار حولها . . والله من وراء
القصد ، منه تاتم الهدایة والحكمة والرشاد .

•• الشبهة الثانية: حول تاريجية أحكام القرآن ••

وهم - بالنسبة للقرآن الكريم - يعتقدون أن القرآن غير صالح لكل زمان ومكان، أي أنه جاء لوقت قد مضى، ولا ينلام مع العصر الحالي، وأنه يجب أن تتغير تفسيراته بما يناسب هذا الوقت، وعلى سبيل المثال:

- إرت المرأة، ...، اللذكر مثل حظ الأنثى، ...، بقوله إن هذه الآية قد حامت لزمن صغير، ويجب أن تشعر، بحيث يتساوى الرجل والمرأة في الإرث...، وكذلك الأمر بالنسبة لشبهة المرأة، «حيث يطالعون عزاءه، الرجل بالمرأة من حيث الشهادة» اهـ.

الجواب:

أما القول بتاريجية - أو تاريجانية - ووقفية أحكام القرآن الكريم ..، يعني «أنها غير صادحة لكل زمان» ..، فإن لها عليها ملاحظات تسوقها في عدد من النقاط:

أولها: أن هذه الدعوى ليست جديدة، فلقد سبق وتبناها فلاسفة التنوير العربي الوضعي العلماني، بالنسبة للتغيرة

والإنجيل . . فرأوا أن فصوصها مجردة رموز ، بل ورأوا أن الدين والتدين إنما يمثل «مرحلة تاريخية» في عمر التطور الإنساني ، مثلت مرحلة طفولة العقل البشري ، ثم لتنها على طريق النضج - مرحلة «الميافيرية» ، التي ثارت هي الأخرى لحساب المرحلة الوضعية ، التي لا ترى علماً إلا إذا كان يابعاً من الواقع ، ولا ترى سلاً للمعلم والمعرفة إلا العقل والتجارب الحية . . وما عدا ذلك من الدين وأحكام شرائعه - فهو «إيجاز» مثل مرحلة تاريخية على دروب التطور العقلي ، ولم يمه صاحب العصر (علم الوضع) - المهم إلا الحكم العامة والسيطرة على بنيانهم وعراوئهم . .
هكذا بدأت وللذوق لذعة تاريخية ونار حاتمة » الموسوعة
الدينية في فكر التنوير العربي العلماني والنهضة الأوروبية
الحديثة . .

وإذا كان هذا القبول قد جرى ، ووحده له بعض البرارات - في
الغرب - بالنسبة لكتابات لات ح خاصة بقلم بعضهم - بسي
إسرائيل - الذين جاءتهم اليهودية والمبكرة ، وتزالت لهم التوراة
والإنجيل . . ولزمان معين . . وبتفاصيل تشريعات - وخاصة في
النوراة - تغادرها تصور الواقع . . فإذا دعوى تاريخية شخص الدينى لا
مكان لها ولا ضرورة لسند غيرها بالنسبة للقرآن الكريم -
ذلك أن القرآن هو كتاب الشريعة الخاتمة ، والرسالة الشرى حتمت

بها النبوات والرسالات ، فلو طبقنا عليه قاعدة تاريخية النصوص الدينية لحدث «فراغ» في المرجعية الدينية ، إذ لا رسالة بعد رسالة محمد - عليهما السلام - ولا وحي بعد القرآن ... وإذا حدث هذا «الفراغ» في المرجعية والمحجة الإلهية على الناس ، زالت حجة الله على العباد في أخسار والجزاء ، إذ سيفقولون : يا ربنا ، لقد أزالت علينا كتاباً نسخه التطور ، فماذا كان علينا أن نطبق ، بعد أن نجاوز الواقع المتغير آيات وأحكام الكتاب الذي أرزنـه لهـاـيـنـا؟! .

وثاني هذه النقاط : أن التاریحیة والتاریخانیة - أي وقتية الأحكام - لا يقول بها أحد في أحكام العبادات . وإنما يقول بها أصحابها في آيات وأحكام المعاملات . وهم يحظتون إذا خلوا أن هناك حاجة إليها في أحكام المعاملات التي جاء بها القرآن الكريم . ذلك أن القرآن الكريم - في المعاملات - قد وقف عند «فلسفة» و«كليات» و«قواعد» و«نظريات» الشـرـيعـة ، أكثر ما فصلـ في شـريعـةـ المعاملات . فهو قد فصلـ في الأمور الثابتـ ، التي لا تتغيرـ بـتـغـيرـ الزـمانـ والمـكانـ ، مثلـ صـنـوـعـةـ الـقـيمـ والأـخـلـاقـ ، والـقـوـاـعـدـ الشـرـوعـيةـ التي تستـنـطـيـ منهاـ الأـحـکـامـ التـفـصـيـلـةـ . وتركـ تـعـصـيـلـ أـحـکـامـ المعـاـمـلـاتـ لـعـلـمـ الـفـقـهـ ، الـدـىـ هوـ اـجـتـهـادـ مـحـكـومـ تـبـاتـ الشـرـيعـةـ الإـلـهـيـةـ . وـذـكـرـ حـسـنـ يـظـلـ هـذـاـ المـقـدـمـةـ - فـقـهـ الـمـعـاـمـلـاتـ - مـتـقـرـرـاـ دـائـرـاـ وـالـدـاـ . حـسـنـ

الزمان والمكان ، ليواكتب تغير الواقع ومستجدات الأحداث ، في إطار
كتابات الشريعة وقواعدها ومبادئها - التي تحفظ على أحكامه المغيرة
إسلاميتها ، دائمًا وأبدًا -

وهذه «الصيغة الإسلامية» المترقبة ، التي جاءت بالنص الإلهي
الثالث - أي الشريعة ، التي هي وضع إلهي ثابت - تحفظ إسلامية
واللهبة المرجعية والمصدر دائمًا وأبدًا . . . بما وكلت أمر التعبيرات
إلى الفقه التحديد والمتضور - والفقه هو علم الفروع - . . هذه
«الصيغة الإسلامية» هي التي وازلت بين ثبات النص وتطور
التفسير البشري للنص الإلهي الثالث . . وجمعـت بين ثبات
«الوضع الإلهي» وتصور «الاجتهاد المفهـى» . . أي جمعـت بين
ثبات المرجعية والنص ، وبين تطور الاجتهاد المفهـى المواكب
للمتغيرات الواقع عبر الزمان والمكان . .

وثالث هذه النقاط : تتعلق بالأمثلة التي سبقت وتساق من قبل
دعاة تاريخية وتاريخـيات النصوص الدينـية ، للتـدليل على ضرورة
تطـبيق هذه التـاريخـيات - في زعمـهم - على أحكـام القرآن الكـريم
في المعـاملات . .

ولـحنـ عندـما نـظرـ في هـذـ الأمـثلـةـ - وهـىـ هناـ : فـبرـاثـ المـرأـةـ . .
وـشهـادـتهاـ - لـرـزـادـ يـقـبـناـ بـخطـأـ دـعـوىـ تـطـبيقـ هـذـ التـارـيخـاتـ عـلـىـ
الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ ، وـعـلـىـ الـأـحـكـامـ التـشـريعـيةـ الـوارـدةـ فـيـهـ . . فـليـسـ

صحيحاً أن توريث المرأة في الإسلام قد جانب الإنفاق لها ، حتى يكون حكمه صالحًا للزمان الماضي دون الزمان المعاصر والمستقبل .. قال تعالى - في الإسلام - لا ترث نصف الذكر : إنما وأبداً .. والقرآن لم يقل يوصيكم الله في الوارثتين للذكر مثل حظ الأنثيين .. وإنما جعل ذلك في حالة يعيشها هي حالة «الأولاد» ، وليس في مطلق وكل الوارثتين «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين» - النساء : ١١ - أما عندما كان التفويض عاماً للميراث فإن القرآن قد استخدم لفظاً عاماً هو لفظ «النصيب» لكل من الذكور والإناث على حد سواء (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قيل منه أو كثر نصبياً مفروضاً) - النساء : ٧ -

ومعايير التفاوت في نصبة الميراث لا علاقة لها ب الجنس .. ذكورة أو أنوثة - على الإطلاق - على غير ما يحسب وبطん الكثيرون - إن لم يكن الأثثرون ! .. وإنما معايير هذا التفاوت ثلاثة :

١ - درجة القرابة .. فكلما كان الوراث أقرب إلى المورث زاد نصبيه في الميراث ..

٢ - وموقع الجيل الوراث في تسلسل الأجيال - وتلك حكمة إلهية باللغة في فلسفة الإسلام للميراث - فكلما كان الوراث صغيراً ،

من حيل يستغل الحياة وأعباءها . وأمامه المستويات المتباينة ،
كان ينصبه من الميراث أكثر . فابن المنوفي يرث أكثر من أبيه
المنوفي . وكلاهما ذكر . وبنت المنوفي ترث أكثر من أمها .
وكلاهما أنثى . بل إن بنت المنوفي ترث أكثر من أبيها .

٣ . والعامل الثالث في تفاوت نصبة الميراث هو العدد المالي الذي
يتحمله ويكلف به الوارث ضيقاً للشريعة الإسلامية . فإذا
اتفقـت وتساـوت درجـة القرـامة . وصـونـع الـخـيل الـوارـث . مـثـلـ
هرـكـرـ الأـوـلـادـ . أوـلـادـ الـمـوـرـاتـ . مع تـفـاقـوتـ العـبـءـ المـالـيـ بـيـنـ الـوـلـدـ
الـذـكـرـ . الـمـكـلـفـ بـيـاعـالـةـ زـوـجـةـ وـأـسـرـةـ وـأـلـادـ . وـبـيـنـ السـنـتـ . التـيـ
سـبـعـولـهاـ هـيـ وـأـلـادـهـاـ زـوـجـ دـكـرـ . هـاـ يـكـونـ لـذـكـرـ مـثـلـ سـعـطـ
الـأـثـيـنـ . وـهـوـ نـقـيـمـ الـبـيـسـ فـيـ أـيـةـ شـيـهـةـ اـظـلـمـ الـأـثـيـنـ . بـلـ
رـبـعـاـ كـانـ فـيـ تـبـيـزـ وـأـمـيـازـ لـهـاـ ، اـحـبـاطـاـ لـاستـضـعـافـهـاـ .

وهـنـهـ الـحـقـائـقـ فـيـ الـمـوـرـاثـ الـإـسـلـامـيـ . الـشـيـ يـجـهـلـهـاـ وـيـعـجـاهـلـهـاـ دـعـةـ
تـارـيـخـيـةـ آـيـاتـ الـمـيـرـاثـ . هـيـ التـيـ جـعـلـتـ الـمـرـأـةـ . فـيـ الـجـنـاـوـلـ الـإـجـمـالـيـ
حـالـاتـ الـمـيـرـاثـ الـإـسـلـامـيـ . ثـرـثـ رـثـ مـثـلـ الرـجـلـ ، أوـ أـكـثـرـ مـنـ الرـجـلـ .
أـمـ تـرـثـ وـلـاـ يـرـثـ الرـجـلـ هـيـ أـكـثـرـ مـنـ ثـلـاثـيـنـ حـالـةـ مـنـ حـالـاتـ الـمـيـرـاثـ
الـإـسـلـامـيـ ، بـيـنـهـاـ هـيـ قـرـبـتـ لـصـفـ ماـ يـرـثـ الـذـكـرـ فـيـ أـرـبعـ حـالـاتـ فـقـطـ .
ولـمـ أـرـدـ أـنـ يـطـلـعـ عـلـيـ هـذـهـ الـحـقـائـقـ أـنـ يـرـجـعـ إـلـىـ كـتـابـاـ (ـهـاـ)
الـإـسـلـامـ هـوـ الـحـلـ . مـاـذـاـ وـكـيـفـ؟ـ) . فـصـلـ «ـالـتـحـرـيرـ الـإـسـلـامـيـ

للمرأة» - طبعة دار الشروق - القاهرة - وعلي كتاب (عيورات المرأة وقضية المساواة) للدكتور صلاح الدين سلطان - سلسلة «في التوعية الإسلامية» - طبعة دار يهضة مصر - القاهرة».

وكذلك الحال مع «شهادة المرأة» ففي الأصول والمبادئ التي تقر فيها خبرة المرأة عن الرجل تكون شهادتها أقل من شهادته . . . وحتى لا تهدر شهادتها كليّة في هذه المبادئ ، سمح الفراز شهادتها ، على أن تدعم شهادة واحدة من بنات جنسها . . . تدعى بما تتساهم به وقائع الشهادة . . . أما المبادئ التي تحصي بالمرأة ، والتي تكون خبرتها فيها أكثر . . . فإن شهادتها فيها تكون أعلى . . . وأحياناً صعب شهادة الرجل . . . بل إن شهادتها تعتمد حتى لا تعتمد شهادة الرجل هي بعض هذه المبادئ

والذين يقتلون أن آية سورة السفرة (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ولنكتب بضمكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ول يجعل الذي عليه الحق وليق الله ربه ولا يخسر منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يصل هو فليعمل ولله بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإذا لم يكونوا رجلاً فرجل وامرأة من توصون من الشهداء أن نضل إحداهما فنذكر

إحداهما الأخرى ولا ياب الشهادة إذا ما دعوا ولا تساموا أن
تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أحله ذلكم أقسط عند الله وأقوم
للشهادة وأدنى الأثر تأبوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تدبرونها
يسمكم فليس عليكم جناح إلا تكتبوها وأشهدوا إذا تباعتم ولا يضار
كائب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق لكم وانفوا الله وبعلمكم
الله والله بكل شيء علیم (١) وإن كنتم على سفر ولم تجدوا
كاتباً فرهان مفروضة فإن أمن بعضكم بعضاً فليزد الذي اوتمن
أمانة ولبق الله ربه ولا تكتنروا الشهادة ومن يكتنروا فإنه أثم قوله
والله بما تعملون عليهم (٢) . البقرة : ٢٨٣ ، ٢٨٢ .

الذين يظنون أن هذه الآية - ٢٨٢ - تجعل شهادة المرأة نصف
شهادة الرجل بإطلاق ، وفي كل الحالات مخطئون وواهمون .
فهذه الآية تتحدث عن دين خاص ، في وقت خاص ، يحتاج
إلى كاتب خاص ، وإملاء خاص ، وأشهاد خاص . . .
وهذه الآية . في نفسها . استثناء (إلا أن تكون تجارة حاضرة
تدبرونها يسمكم فليس عليكم جناح إلا تكتبوها) .

ثم إليها تستثنى من هذه الحالة الخاصة الإشهاد على البيوع ،
فلا تقيدها بما فيدت به حالة هذا الدين الخاص . . .

تم إنها تتحدى : محافظة ، الصاحب الدين ، الذي يريد أن يستوثق لديه الخاص هذا بأعلى درجات الاستبيان . ولا يخاطب الحكم - القاضي - الذي له أن يحكم بالبيبة واليمين ، بصرف النظر عن جنس الشاهد وعدد الشهود الذين غور بهم البيبة . فللحاكم - القاضي - أن يحكم شهادة رجلين أو امرأتين ، أو رجل وأمرأة أو حل واحد . أو امرأة واحدة . طالما قامت البيبة بهذه الشهادة .

ومن يرد الاستزادة من الفقه الإسلامي في هذه القضية - التي يجهلها الكثيرون - فعليه أن يرجع إلى أواه شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) وتنبيه العظيم ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ / ١٢٦٢ - ١٣٥٠ م) في كتابه (الطرق الحكيمية في السياسة الشرعية) ص ١٠٣، ١٠٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م .. ففيه - وفق نص ابن تيمية - أن ما جاء عن شهادة المرأة في آية سورة البقرة . ليس حصرًا لطرق الشهادة «وطرق الحكم» التي يحكم بها الحاكم؛ وإنما ذكر النوعين من المبنيات في الطرق التي يحفظ بها الإنسان حقه . فالآية نصيحة لهم وتعليم وارشاد لما يحفظون به حقوقهم ، وما تحفظ به الحقوق شئ؛ وما يحكم به الحاكم شئ؛ فإن طرق الحكم أوسع من الشاهدين والمرأتين .

ولقد قال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١-٦٤١هـ - ٧٨٥-٨٦٥م) إن

شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين فيما هو أكثر خبرة فيه ، وأن شهادة المرأة تعدل شهادة رجلين فيما هي أكثر خبرة فيه من الرجل . فالياب مفتوح أمام الخبرة ، التي هي معيار درجة الشهادة ، فإذا تخلفت حسنة الرجل في ميدان نراجع مستوى شهادته فيه . وإذا تقدمت وزادت حسنة المرأة في ميدان ارتفع مستوى شهادتها فيه . ولبس هناك في الفقه الإسلامي تعميم وإطلاق في هذا الموضوع ، إذ الشهادة سبيل للبيضة التي يحكم الحاكم - الفاضي - بناء عليها ، بصرف النظر عن جنس الشهود وعددهم .

ولو فقه الداعون إلى تاريخية وتاريخية آيات الأحكام في القرآن حقيقة هذه الأحكام التي توهّموا الحاجة إلى تجاوزها . فقلّوا بتاريخية وقوفية معانٍ تصوّصها القراءة . لأنّكروا أن وقوف النص القراءى عند كليات وفلسفات وقواعد ونظريات التشريع ، مع ترك تفصيلات التشريع لاجتهادات الفقهاء . هو الذي جعل أحكام القرآن الكريم في المعاملات - فضلاً عن العبادات . والقيم والأخلاق . صالحة لكل زمان ومكان ، فكانت شريعته آخر وتحام الشرائع المعاوية ، دونها حاجة إلى هذه «التاريخية . والتاريخية» التي استعاروها من الفكر الغربي ، دونها إدراك لخصوصية النص الإسلامي ، وتبير مسيرة الفقه الإسلامي والحضارة الإسلامية . . وإنّ أئمّتهم فقهوا حقيقة الأمثلة التي توهّموها دواعي لهذه التاريخية . من مثل عبوات المرأة . وشهادتها . إنّكثروها مكونة هذا الخيد في كشف هذه الشبهات ! .

الشبة الثالثة: حول حروف فوائح بعض سور القرآنية

وهم يقولون : إن القرآن الكريم يحتوى على طلاسم لم تفسر ، كما جاء في سورة البقرة (الم) . وغيرها مما ذكر في سور آخر . وسائلون : كيف لم يسأل الصحابة عن معانى هذه الحروف ، وهم الذين عايشوا الرسول - عليه - يوماً بيوم ، وسائلوه عن آنفه الآتية ! فكيف لم يسألوا عن هذه الرموز ؟

ويصلون بذلك إلى أن الصحابة ، رضي الله عنهم ، إنما أنهم قد سألوا الرسول وأصحابه عن ذلك ، ونم بصلنا ذلك أحاديث في حدث من الأحاديث - التي فقدت (حسب اعتقادهم) - أو أنه لم تكن قد فكت هذه الرموز أصلاً . وتلك مقصبة أكبر ، حيث إن معنى ذلك إثبات القرآن بطلاسم لا معنى لها !

الجواب :

هذه الحروف - من مثل : (أيم) - (أحمد) - (أبر) - (المر) - (ون) - (بغ) - .. - والتي وقف أمامها المفسرون الفدامي وفعلن قد تبدو مقعنة للبعض وغير مقعنة للبعض الآخر . نطرح قضية من قضايا التفسير للقرآن الكريم ، تقول :

إن القرآن الكريمة وحىٌ نبئيٌ متعددٌ في وجوه الإعجاز . . شبيه
الاعجاز في النظم . . واعجاز في البلاغة . . واعجاز في تفسير
الأسباب ، الذي لا هو مالشر ولا هو بالتعذر . وإنما هو قوله . .
واعجز في الأخبار بالعيوب . من أبناء الآباء والأجداد ، ويقد
الخلق ، وأسر المكون . . وحالاته الأخيرة . . واعجز في الإشارة إلى
الحقائق العلمية والأيات الكونية التي ما كانت لتخطر على قلب
رسول تلقاءً أو سمعت فحسب . هي عصر التسليل . . واعجز في المقدمة
الدائمة . عصر الزمان والمكان وأنواع أحوال الإنسانية . على حمل
الفرد السوى والمجتمع السوى والهداية إلى الضراء والستفيم .
وتحقيق سعادتي الدنيا والآخرة .

واسبر وجود الإعجاز هذه ، يطرأ إليك صدمةً حادةً العقلي المتدهور
في أسرار القرآن لاكتشاف وحىٍ حديثةٍ لـ الإعجاز . . والإصلاح على
أسرار قرآنية لم يعرها الأقدمون ، والأهتمام إلى عجائب . . في هذه
الكتاب الذي لا تقصص عحائمه . لم يهدى إليها الساقون من
المفسرين . .

فاكتشف الجديداً في أسرار وعجائب القرآن . . واهتمام الناس
المعاصر . . والمستقبل . . إلى ما لم يحظ به علم المفسرين القدماء .
بعض فريقهم الصحابة . لا يقتدح في القرآن الكريم . وإنما هو الطبيعي
مع هذا الكتاب المتعجبة أوجه إعجازه ، والمدققة مستجدات

معانبه ، والمتولية كنوز أسراره مع مراحل نمو العقل الإنساني .
وتراكم العلوم والمعارف المعاينة على اكتشاف أسرار آياته ، واحتضان
عود المكر المتذر لبعد هذا القرآن الكريم .

فالحقائق الحديثة لعلم الطبيعى قد جعلتنا نعلم عن الآيات
القرآنية التي تحدثت عن أحظار غير الأحياء في الأرحام ما لم يعلمه
فقيه الأمة وحيرها ابن عباس (٦١٩-٦١٨هـ - ٢٠٨٧م)
والمفسرون القدماء . . فهل يصح أن تسأله : لماذا لم يسأل
الصحابي رسول الله - عليه السلام - عن هذه الحقائق فيعرفوها منه ذلك
التاريخ؟! . . لقد حلت هذه الحقائق مكتوبة حتى كشف عنهاتطور
العلم الطبيعي حدثاً ، وكانت سبباً لإثبات عدد من كبار العلماء
 بالإسلام عندما وقفوا أمام قوله . . سبحانه وتعالى ، في هذا
القرآن . . ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين (٣٣) ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين (٣٤) ثم حلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة
فخلقنا المضغة عظاماً فكروا العظام نحماً ثم أنشأناه خلقنا آخر
فسبارك الله أحسن الخالقين (٣٥) . المؤمنون ١٢-١٤ . . وكذلك الحال
مع الآيات التي تحدثت عن ظلمة أعماق المحيطات (٣٦) أو كظلمات
في بحر لجي يغشاها موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يقدريراها ومن لم يفعل الله له
نوراً فما له من نور (٣٧) - النور : ٤٠ . . وعن تأصيص الأكسجين

كلما ابتعدنا - صعبواداً - عن القشرة الأرضية وعلاقتها ، وخرج
 صدرو الصاعدين إلى فضاء السماء ﴿فَمَنْ يُرِدُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيهِ يُشَرِّعُ
 صِرَاطَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يَضْلِلَهُ يَجْعَلُ صِرَاطَهُ حَبِقًا حَرَّ حَارِّاً كَانَمَا
 يَصْنَعُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ عَلَى الدِّينِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
 - الأنعام ١٢٥ - . وعن الحمام الأرض بالسماء - (كانتا رفقاء) .
 مثل الافتخار - أو لم ير الدين كثروا أند السموات والأرض كانوا
 رفقاً فشققاهمَا وجعلنا من الماء كل شيء حتى أفلأ يؤمنون - .
 الآيات ٣٠ - . وعن سرول الحديد من الشياطين إلى الأرض - وقد
 ثبت أنه عريب عن مخكوناته - « وأنورنا الحديد فيه يأس شديد
 ومنافع للناس » - الحديد ٢٥ - . وعبر ذلك من التفسيرات
 الحديدة لإيات الإشارات العلمية والكونية في القرآن الكريم ، تلك
 التي ما كان تدركها المسنودة للقدماء - بين فيهم الصحابة
 والتابعون - قبل إعارة المكتشفات العلمية الحديثة على فتح أبواب
 هذه التفسيرات .

إذا ، فالطبعي هو بقاء أبواب الأسرار القرانية مفتوحة ومتعددة
 بالحديد أمام العقل الإنساني . ولذلك ، فإن تصور ضرورة معرفة
 جيل الصحابة بكل أسرار القرآن وعجزاته هو الأمر العجيب . بل
 هم النصر الذي ينفتح في القرآن الكريم

وانتهلاً من هذه الحقيقة ، التي يعلمها أهل العلم بالقرآن ، والتي تحدثت في ثور نطور عطاء المفسرين للقرآن مع تطوير مستوى المعارف والعلوم المستخدمة في اكتشاف أسرار آيات الله المسورة في كتابه الحكيم . أى استخدام المكثفات الإنسانية لآيات الله الكوبية المنظورة في اكتشاف الجديد من أسرار آيات الله القراءة المسورة . . . انتهلاً من هذه الحقيقة ، لا ترى بأساً من فتح أبواب جديدة لفهم . بل وأفهم حديداً . للحروف والرموز التي جاءت فراغ بعض سور القرآن الكريم ، والتي لم تعد تفسيرات القدماء لها مفعلاً للمعنى المسلم في العصر الذي تعيش فيه . . . والتي فوق كثيرون من المفسرين إلى الله علم المراد منها .

بل إن من واقعاً المكرى الراهن «اجتهادات» ، «اللغة الحادة» ، وأحياناً مدهشة . تقدم تفسيرات غير مسوقة لهذه الحروف والرموز والكلمات . . .

فهناك كتاب «التفسير العلسي حروف أولى السور في القرآن الكريم» للدكتورة تحية عبدالعزيز إسماعيل - طبعة القاهرة - مصانع الأهرام سنة ١٩٩٠م . . وقبه رؤبة لهذه الحروف باعتبارها رموزاً صوتية ، مثل المستوى الأول الذي بدأت به اللغة الإنسانية الأولى . . وللوقفة ترى أن العربية قد كانت هي اللغة التي بدأت بها الجماعة البشرية الأولى . . أدم وزوجة وبنوه . . وذلك قبل أن تختلف

الأم ومتعددة اللغات .. وأن الكلمات العربية الكثيرة الموجودة في مختلف اللغات العالمية ليست وإنما عربياً على هذه اللغات ، وإنما هي من بقايا اللغة العربية الأم في هذه اللغات - وهي قد أفردت لهذا البحث رسالتها للدكتوراة - بالاحليلية . - بعنوان (العربية الklasicke) . - كما نرى أن سائر اللغات - غير العربية - فيها أربع مستويات : مستوى الحرف - مستوى الكلمة - ومستوى الجملة . - ومستوى المعنى . - وأن العربية - بحسب أنها قد مالت بداية النطق الإنساني - قد احتفظت مستوى حامض ، لا ظظيم له في اللغات الأخرى ، وهو مستوى الرمز الصوتي ، الذي بدأ به النطق الإنساني . فالصوت فيها رمز لمعنى - وليس فقط الحرف والكلمة والجملة . - وهي قد أفردت في كتابها (التفسير العلمي لحروف أوائل السور في القرآن) قصولاً لمعنى كل رمز من هذه الرموز الصوتية التي جاءت فواعها لبعض السور القرآنية ، وسهلت على القراءن التي جعلت وتحجعل لمعنى الرمز الصوتي علاقة وثيقة بأيات ومعانى وأغراض السورة التي افتتحت بهذه الرموز الصوتى .
وفي هذا «الاجتهاد» - عند من يتغنى مع صاحبته . فتح جديد ، يكشف عن دلالات جديدة لمعنى هذه الحروف والرموز .

وإذا سحن انطlocنا من فكرة أولية اللغة العربية ، وسن أن الكلمات العربية الموجودة في اللغات القدمة الأخرى هي من بقايا

فتح أقسام كتب لا تنقضى عجائبه - ولا تنفذ مكتشفات
أسراره . ولست أعلم نص قدر طاقت الأفهام . حتى ولو كانت أفهام
الصحابة - كل أسراره ومعانيه ومراميه .

الشَّهِيدَةُ الرَّابِعَةُ: حَوْلَ عَصْمَةِ الرَّسُولِ

«وَهُمْ لَا يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ الرَّسُولَ مَعْصُومٌ عَنِ الْخَطَا» . وَيَقُولُونَ
الْأَدَلَةُ عَلَى ذَلِكَ سُورَةُ (عِيسَى وَتَوْلِي) وَكَذَلِكَ عَنِ الدَّلَلِ حَامِلُ
الرَّسُولَ - يَوْمَ زِيَادَتِهِ ، وَنَزَّلَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ النَّى تَنْهَى عَنِ
ذَلِكَ» اهـ

الجواب:

إِنَّ عَصْمَةَ الرَّسُولِ - يَوْمَ زِيَادَتِهِ - وَكَذَلِكَ عَصْمَةَ كُلِّ الرَّسُولِ ، عَلَيْهِمْ
السَّلَامُ . يَحْبُّ أَنْ لَفِهِمْ فِي نَطَافَةِ مَكَانِ الرَّسُولِ وَسَهِيمَةِ
الرَّسَالَةِ . فَالرَّسُولُ : بَشَرٌ يُؤْخَذُ إِلَيْهِ . أَيْ أَنَّهُ - مَعَ بَشِّرِيهِ - لَهُ
خَصِوصِيَّةُ الْاِنْصَالِ بِالْمُسْمَاءِ ، بِوَاسِطَةِ الْوَحْيِ . وَلَذِكْرُ ، فَإِنْ هَذِهِ
الْمُهِمَّةُ تَقْتَصِي صَفَاتٍ يَصْنَعُهَا اللَّهُ عَلَى عِبَّرِهِ فَيُمَسِّ يَصْنَعُهُ - كَمَا
تَكُونُ هَذِهِ مُنَاسَةً بَيْنَ هَذِهِ الصَّفَاتِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْمَكَانَةِ وَالْمَهَامِ
الْخَاصَّةِ الْمُوَكَّلَةِ إِلَى صَاحِبِهَا .

وَالرَّسُولُ مَكْلُفٌ تَسْلِيْعُ الرَّسَالَةِ ، وَالدُّعَوَةُ إِلَيْهِ . وَالْجَهَادُ فِي سَهِيلِ
إِفَاقَتِهَا وَنَظِيقَتِهَا . وَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعَةٌ هِيَ جِرَاءٌ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ -
سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى - «أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ» - السَّاءَ - ٥٩ -

(أطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ) - آل عمران : ٣٢ - (فَمَن يُطِعُ الرَّسُولَ
 فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ) - النساء : ٨٠ - (فَلَمَّا كَتَبْنَا تَحْوِيلَنَّ اللَّهَ فَإِنَّهُ عَوْنَى
 يَحْكِمُ اللَّهُ) - آل عمران : ٣١ - ولذلك . كانت عصمة الرسول
 فيما يبلغوه عن الله ضرورة من ضرورات صدقهم والثقة في هذا
 البلاغ الإلهي الذي اختبروا بقوموا به بين الناس . ونداهة العقل
 - فضلاً عن العقل . حاكمة على مرسال الرسالة إذا لم يتحيز الرسول
 الذي يচفع الصدق على رسالته ، كان عاثراً . وهو ما يستحب
 على الله ، الذي يصطفي من الناس رسالة تزهدهم العصمة لاصفاء
 الثقة والصدق على السلاح الإلهي والحقيقة على الناس . صدق في هذا
 الذي يبلغون ..

وفي التعبير عن إحسان الأمة على صرورة العصمة للرسول فيما
 يبلغ عن الله ، يقول الإمام محمد عبده (١٢٦٦-١٢٢٣هـ) ..
 (١٩٤٩-١٩٠٥م) عن عصمة الرسول - كل الرسل - ١ - ومن ثوارم
 ذلك بالضرورة : وجوب الاعتقاد بعلو نظرائهم ، وصحة عقولهم .
 وصدقهم في أقوالهم ، وأمانتهم في تلبيغ ما عاهد إليهم أن يبنغوه .
 وعصمتهم من كل ما يشهده السيرة البشرية ، وسلامة أبدانهم مما
 تتبأ عنه الأ بصار وتشر منه الأدواق السليمة ، وأنهم متزهدون عنها
 بعصاد شيئاً من هذه العصمات ، وأن أرواحهم ممزودة من احلال
 الإلهي بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليهما سفينة

روحانية . إن من حكمة الصانع الحكيم - الذي أقام الإنسان على
قاعدة الإرادة والتعليم - أن يجعل من مراتب الانس النشرية
مرتبة يُعدّ لها ، تحضن فضله ، وتعكس من بضمفته من خلقه ، وهو
أعلم حيث يجعل رسالته ، يغيرهم بالضرر السليمة ، ويبلغ بهم أرحابه
من الكمال ما يليكون بعدد لا يستهان بأحوال علمه ، والأمانة على
مكتوب سره ، شالوا الكثلك غيرهم انكشاف لهم الخاصة له نفسه .
وذهبت بعقله حلالاته وبعcessاته ، وبشرقوه عنى الغيبة بزوره ،
ويغتصبوا ما لا يكرون من شأن الناس فيه ، ويغيرون في صفاتهم
العلوية على سبة من العارفين ، نهاية الشاهد وبذلة العات ، فهو
في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها ، وهو وقد الآخوة في الناس من
ليس من سكانها ، كما فيما بعد ذلك ، أني الانصرى بالسماء ،
والتطبع عنده) ، فهو يبشر بغيرهم ما يعترى سائر أفراده ، يأكلون
ويشربون ويذبحون وبسيرون وبسيرون فيما لا علاقة له بتبع
الأحكام ، وغير صواب وفتنه إليهم أبدى الخلامة ، وينالهم الأضداد .
وقد يقتلون . (الأعيان لـ كاملة) ج ٢ ص ٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢١
٤٢١ - دراسة وتحقيق د . محمد شمارة - طبعة القاهرة - دار
الشروق - سنة ١٩٩٣ م .

فالعصمة . كالمعجزة . ضرورة من ضرورات صدق الرسالة ومن
مقتضيات حكمة من أرسل الرسال - عليهما السلام -

وإذا كان الرسول - كمثواه - يجوز على جسمه ما يحور على
أجسام البشر . وإذا كان الرسول كمجتهد قد كان يمارس الاجتهداد
والشوري وأعمال العقل والتفكير والاختبار بين البداول في مناطق
وميادين الاجتهداد التي لم يتزل فيها وحى الحق . فإنه معصوم في
مناطق وميادين التسلیع عن الله - سبحانه وتعالى - لأنها لم حار
عليه الخطأ أو السهو أو مجازة الحق والصواب أو اختيار غير الأولى
في مناطق وميادين التسلیع عن الله لنطرق الشك إنى حصل
الرسالة ولوحى وللاغ ، بل وإنى حكمة من حصفها وأرسله
ليكون حجة على الناس ، لذلك ، كانت العصمة حسنة أصلية
وشرطها ضرورة من شروط رسالة جميع الرسل ، عليهم السلام
فالرسول ، في هذا النطاق - نطاق التشيع عن الله . « وما ينفع عن
الرسول (٢) إن هو إلا وحى يوحى » - التجم ٢ ، ٤ . وبلاعده ما
هو يقول بشر ، ولذلك كانت طاعته فيه طاعة لله ، وبغير العصمة
لا يتأتى له هذا المقام ..

أما اجتهادات الرسول - بحسب - فبسبلا وحى فيه ، والتي هي
ثمرة لاعماله لعقله وقدراته وملكاته البشرية ، فقد كانت تصادف
الصواب والأولى ، كما كان يحور عليها عبر ذلك . ومن هنا رأينا
كيف كان الصحاوة - رضوان الله عليهم - هي كثيرة من الموجهي
وبزاره كثير من موافق وقرارات وأراء واجتهادات الرسول - بحسب -

يتألونه . فقبل الإدلاء بمساهماتهم في الرأي . هذا السؤال الذي
شاع في السنة والسيرة :

- « يا رسول الله ، أهو الرحمي أم الرأى والمشورة ؟ » .

فإن قال : إنه الرحمي . كان عنهم السمع والطاعة له ، لأن طاعته
هذا هي طاعة الله . وهم يسلمون الوجه لله حتى ولو حفيت
الحكمة من هذا الأمر عن عقولهم . لأن علم الله - مصدر الوجه .
مطلق وكل محيط ، بينما علّمهم نبي قد تخفي عليه الحكمة
التي لا يعلّمها إلا الله . أما إن قال لهم الرسول . جواباً عن
سؤالهم . إنه الرأى والمشورة . فإنهم يحتفظون ، ويشربون ،
ويصوبون . لأنه - بحسب - هالبي معصوماً ، وإنما هو واحد من
المقدرين في الشورى والاحتياط . وواقع تزوله عن احتياطه إلى
اجتهادات الصحابة كثيرة ومتواترة في كتب السنة ومصادر السيرة
النبوية . في مخادع الفتال يوم عرفة سدر . وفي الموقف من
أسراهما . وفي مكان الفتال يوم موقعة أحد . وفي مصالحة بعض
الأحزاب يوم الحنادق . الخ . الخ .

ولأن الرسول - بحسب - قد أراد الله له أن يكون القدوة والأسوة
للآمة . لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو
الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً في الأحاديث : ٢١ . . . وحتى لا
يقتدى الناس باحتياط نبوي لم يصادف الأولى ، كان رسول الوجه

لتصويب اجتهاداته الشى لم تصادف الأولى ، بل وعتابه . أحياناً .
 على بعض هذه الاجتهادات والاحتبارات . من مثل : « عس
 وتولنى (١) أن جاءه الأعمى (٢) وما يدركك لعله يزكي (٣) أو
 يذكر فتسعده الذكرى (٤) أما من استعنى (٥) فأنت له نصدى (٦)
 وما عليك إلا يزكي (٧) وأما من جاءك يسمع (٨) وهو يحلى
 (٩) فأنت عنه تلهمي (٩) - عسى (١٠) ومن مثل : « يا أيها
 النبى لم تحرم ما أحيا الله لك نعم مرضات أرواحك والله عفور
 رحيم (١٠) قد فرحت الله لكم تحلاة أيامكم والله مولاكم وهو العليم
 الحكيم » . التحرير (١١) . ومن مثل : « ما كان لى أن
 يكون له أسرى حتى يُثْنَع في الأرض فربود عرض الدبا والله
 يربى الآخرة والله عزيز حكيم (١٢) لولا كتاب من الله سق
 لمسكم فيما أحدثتم عذاباً عظيم (١٣) . الأمثال (١٤) .
 وغيرها من مواطن التصويب الإلهي للاجتهادات البوية فيما لم
 يسبق فيه وحي ، وذلك حتى لا يتأسى الناس بهذه الاجتهادات
 المخالفة للأولى .

فالعصمة للرسول - عليه - فيما يبلغ عن الله سرط لازم لتحقيق
 الصدق والثقة في البلاغ الإلهي ، وبدونها لا يكون هناك فارق
 بين الرسول وغيره من الحكماء والمصلحين ، ومن ثم لا يكون

هذا فارق بين الوحي المعصوم والمعجز وبين الفلسفات والإبداعات
البشرية التي يحوز عليها الخطأ والصواب .. فيدون العصمة
تصبح الرسالة والوحي والبلاغ قول يشر ، بينما هي ،
بالعصمة ، قول الله ، سبحانه وتعالى ، الذي يلهم وينه المعصوم -
عليه الصلاة والسلام .. فعصمة النفع هي الشرط لعصمة
البلاغ .. بل إنها ، أيضاً ، الشرط لنفع العنت ولنوت الحكمة لمي
اصطفى الرسول وبعنته وأوحى إليه بهذه البلاغ

الشبيهة الخامسة: التشكيك في الأحاديث

أو هم يشككون في صحة الأحاديث ، ويظهرون على الناقصات
بها ، أو يذكرون الحديث الذي يتعارض على عدم زيارة المرأة للغسورة ،
والحديث الذي يقول (في معناه) ابن الربيع - رضي الله عنه - قال السر
فلا أمرتكم بعدم زيارة الغسورة من قبل ، والآن أسمح لكم بزيارة
الغسورة - فبسبعين ولما إلى ذلك زاده تناقض ، ويدللون على ذلك أن
الأمة قد فقدت التكثير من الأحاديث الصحيحة بعد الرمان ، أو أن
هذه الأحاديث قد حرفت عن معانيها الصحيحة .

العواقب

في نهاية حوار عن شبهة هؤلاء الذين يشككون في
الأحاديث النبوية - تمهى على صاحبى حديث كل الدين بنبيه وآد
مثل هذه التبريات حول الحديث النبوي الشريف . ذلك أن
التدريج والتقطور في التشريع - الذي يمثله حدديث النهي عن زيارة
الغسورة ثم إباحتها . هذا التدرج والتقطور في التشريع لا علاقة له
بالتناقض بأى وجه ، أو أى حال من الأحوال .

ثم إن التشكيك في بعض الأحاديث النبوية ، والقول بوجوه
تناقضات في بعض هذه الأحاديث ، أو ببعضها أوجه داللة .

بل والتشكيك في مجمل الأحاديث النبوية ، والدعوة إلى إهانة
السنة النبوية ، والاكتفاء بالقرآن الكريم . إن هذه الدعوى قديمة
و جديدة ، بل ومتعددة . وكما حذر رسول الله - عليه - من
الكتب عليه . فلقد حلّ من إنكاره سنته ، ومن الخروج عليها .

ونحن بارأء هذه الشبهة بواجهة علميين من العلم

أحد هما : بهار كل السنة النبوية ، اكتفاء بالقرآن الكريم
ويرى أن الإسلام هو القرآن وحده .

وثانيهما : يرى في كل المرويات المسوبة للرسول - عليه - سنة
نبوية ، يكفر التوقف فيها . دوينا فحص وبحث ومحض مسوبيات
«الرواية» و«الدراءة» في هذه المرويات . . . ودوينا ثنيه بين التوقف إزاء
الراوى وبين إنكار ما ثبت عن رسول الله - عليه - .

وبين هذين العلوبين يقف علماء السنة النبوية ، الذين وصعوا
علوم الضبط للرواية ، وحددوا مستويات المرويات ، بناء على
مستويات الثقة في الرواية . ثم لم يكتفوا - في هرزا المرويات - بعلم
«الرواية» والجرح والتعديل للحوال - الرواه - وإنما اشترطوا سلامنة
«الدراءة» أيضاً لهذه المرويات التي رواها العدول الضابطون عن
أمثالهم حتى رسول الله - عليه - . أى أن هؤلاء العلماء بالسنة قد
اشترطوا «بقد المتر والنفع والمصعنون» بعد أن اشترطوا «نقد الرواية»
والروااه . وذلك حتى يسلم المتر والمصعنون من الشدود والعلة

القادحة» ، فلا يكون فيه تعارض حقيقى مع حديث هو أقربى منه سندًا ، والمعنى منه بمقاصد الشريعة وعقائد الإسلام ، ومن باب أولى لا يكون الأثر المروى متناقضًا تناقضًا حقيقاً مع محكم القرآن الكريم ..

ولو أتنا طبقنا هذا المنهاج العلمي المحكم ، الذي هو حلاصة علوم السنة النبوية ومصطلح الحديث ، لما كانت هناك هذه المشكلة - القديمة - التجديدة - ولكن المشكلة - مشكلة الغلو ، بأبعاده ودرجاته - إنما تأتى من الغفلة أو التعامل عن تطبيق قواعد هذا المنهاج الذي أبدعته الأمة الإسلامية ، والذي سفت به حصارنا كل الحضارات في ميدان «النقد الخارجى والداخلى للنصوص والمرويات» ، وهذه الغفلة إنما تتجلى في تركيز البعض على «الرواية» مع إهمال «الدراءة» ، أو العكس .. وهي عدم تمييز البعض بين مستويات المرويات ، كأن يطلب من الأحاديث طيبة الثبوت ما هو من اختصاص النصوص قطعية الثبوت .. أو من مثل تحكيم «الهوى» أو «العقل غير الصرير» في المرويات الصحيحة ، حالية متونها ومضامينها من الشذوذ والعلة القادحة .

وهناك ، أخيراً ، آفة الذين لا يميزون بين التوقف إزاء «الرواية» و«أثرها» - وهو سر عبقر مخصوص - : وفيهم وهي تعذيلهم وقبيل صرورياتهم اختلف الفقهاء وعلماء الحديث والحدثون - وبين نوقف

إِذَا «السنة» التي ثبتت صحة روايتها وذراتها عن المقصود ، صلى الله عليه وسلم .. فتوقف العلماء المتخصصين - وليس الهوا أو المضللين - إِذَا «الرواية والرواية» تُسْمَى ، والتوقف إِذَا «السنة» التي صحت وصلحت من التدبر والعمل الخادحة شئ ، اخر .. والأول حمل من حقوق علماء هذا الفن ، أما الثاني فهو تكذيب المقصود .
صلى الله عليه وسلم - والعياذ بالله ..

* * *

أما الذين يقولون إنها لا حاجة لنا إلى السنة النبوية ، اكتفاء بالبلاغ القرائي ، الذي لم يخوط في شيء ، فلياتم يقول لهم ما قاله الأقدامون - من أسلافنا ، للأقدمين - من أسلاقهم .

إن السنة النبوية هي البيان السبوي للبلاغ القرائي ، وهي التطبيق العملي للأيات القرائية ، التي أشارت إلى قرائص وعبادات وتکاليف وشعائر ومتانس ومعاملات الإسلام .. وهذا التطبيق العملي ، الذي حمل القرآن إلى حياة معيشة ، ودولة وآمة ومجتمع ونظام وحضارة ، أى الذي «أقام الدين» ، فقد بدأ بتطبيقات الرسول - عليه - للبلاغ القرائي ، ليس تطوعاً ولا تزييناً من الرسول ، وإنما كان فيما يفرضه إيمانية نص عليها القرآن الكريم ﴿وَأَنذِلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ نَهِيَنَّ لِلنَّاسِ مَا نَرَأَلِّهِمْ يَعْكُرُونَ﴾ - التحليل : ٤٤ - . فالتطبيقات النبوية للقرآن - التي هي السنة العملية والبيان

القولى الشارح والمفسر والمفصل - هي ضرورة قرائية ، ونبت تزيداً على القرآن الكريم . هي مقتضيات قرائية ، افتراضها القرآن . ويستحيل أن نستغني عنها بالقرآن .

وتأسياً بالرسول - **ص** - وفيما يفرضه طاغته - التي نصّ عليهما القرآن الكريم **(أطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ)** . آل عمران . ٢٢ . **(أطِيعُوا الله وَأطِيعُوا الرَّسُولَ)** . النساء . ٥٩ . **(مَنْ بَطَعَ الرَّسُولُ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ)** . النساء . ٨٠ . **(قُلْ إِنَّ كُفُورَ اللَّهِ فَإِنَّ عَوْنَى يَحْبِكُمُ اللَّهُ)** . آل عمران . ٢١ . **(إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكُمْ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ)** . الصبح . ١٠ . **تأسياً بالرسول - ص - وطاعة له** كان تطبيق الأمة . في جبل الصحابة ومن بعده . ليهذه العادات والمعاملات . فالسنة النبوية ، التي بدأ تدوينها في العهد النبوى ، والتي اكتمل تدوينها وتحقيقها في عصر التابعين وتابعائهم ، ليست إلا التدوين للتطبيقات التي جسدت البلاغ القرآنى ديناً معيشًا في العادات والمعاملات .

فالقرآن الكريم هو الذي تطلب السنة النبوية ، ونبت هى بالأمر الزائد الذي يعني عنه ويستغني دونه القرآن الكريم .

اما العلاقة الطبيعية بين البلاغ الإلهي - القرآن - وبين التطبيق النبوى لهذا البلاغ الإلهي - السنة النبوية - فهي أشبه ما تكون

بالعلاقة بين «الدستور» وبين «القانون» فالدستور هو مصدر ومرجع القانون ، والقانون هو تفصيل وتطبيق الدستور ، ولا حجة ولا دستورية لقانون يخالف أو ينافس الدستور - ولا خفاء ولا اكتفاء بالدستور عن القانون

إن رسول الله - ﷺ - ليس مجرد مبلغ فقط ، فهو ليس «ماسعى بريء» . وإنما هو مبلغ ، ومبين للبلاغ ، ومطنن له ، ومفهوم للدين ، تحوى القرآن على بدبه إلى حياة عملية - أى إلى سة وطريقة بحياها المسلمون ..

وإذا كان بيان القرآن وتفصيره وتخصيبه هو فريضة إسلامية ، دائمة وفانمة ، على الأمة إلى يوم الدين . فإن هذه الفريضة قد أقامها - أول من أقامها - حامل البلاغ ، ومنجز البيان ، ومفهوم الإسلام ، عليه الصلاة والسلام ..

والذين يتصورون أن الرسول - ﷺ - مجرد مبلغ - «واسعى بريء» - إنما يضعونه في صورة أدبي من صورتهم هم ، عندما ينكرون عليه البيان النبوي للبلاغ القرآني ، بينما يارسون هم القيام بهذا البيان والتفسير والتطبيق للقرآن الكريم . وهذا «ذهب» يستعيد المؤمن بذلك منه ومن أهله ومن الشيطان الرجيم !

الشَّيْهَةُ الْسَّادِسَةُ: حَوْلِ عَلَاقَةِ الْعُقْلِ بِالنَّفْلِ

«وَهُم يَعْتَقِدُونَ أَن جَمِيعَ عُلَمَاءِ الْأَمْمَةِ يَدُونُ اسْتِشَاءَ غَيْرِ مُؤْهَلِينَ . لَا يَهُم اعْتَمِدُوا عَلَى النَّفْلِ بِإِيمَانِ التَّكْبِيرِ . وَأَنَّهُ يَحْبُّ التَّكْبِيرَ فِي كُلِّ أَمْرِ الدِّينِ . الْأَصْلُ قَبْلُ الْفَرْعِ . وَالْعَاهَ كُلُّ الْأَسَاسِيَّاتِ الْمُوجَودَةِ الَّتِي تُعْتَبِرُهَا الْأَمْمَةُ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ . وَالْمُحْتَاجُ مِنْ حَدِيدٍ إِلَى الْحَقِيقَةِ ، مُعْتَمِدُهُ عَلَى الْعُقْلِ فَقَطَ .» اهـ

الجواب:

إن القول بالاعتساد على العقل فقط - أي دون النفل ، الذي هو الوحي الإلهي . في بلاغة القرآن وبيانه السوى . . . واستخدام العقل وحده أداة لإعادة النظر في كل ما تعتبره الأمة من المسلمات . . هو قول يحتاج إلى خبيط . وإلى تصويب . وبإمكان أن يتم ذلك من خلال إشارات إلى عدد من الحقائق .

أولها: أن مقام العقل في الإسلام هو مكان عالٌ وفريد ، ولا نظير له في الشرائع السابقة على الشريعة الإسلامية الحاكمة فالعقل في الإسلام هو مناط التكليف بكل فرائض وأحكام الإسلام . . أي شرط التدين بدین الإسلام . .

وناتتها: أن العقل - في الإسلام - هو سبيل الإيمان بوجود الله ووحدانيته وصفاته . لأن الإيمان بالله سابق على التصديق بالرسول وبالكتاب الذي جاء به الرسول ، لأنه شرط لهما ، ومقدم عليهما ، فالتصديق بالكتاب - النقل - منتفع على صدق الرسول الذي أتى به . والتصديق بالرسول متوقف على وجود الإله الذي أرسل هذا الرسول وأوحى إليه . والعقل هو سبيل الإيمان بوجود

الله - سبحانه وتعالى - وذلك عن طريق تأمل وتدبر بدمج نظام
وانتظام المصنوعات الشاهدة على وجود الصانع المبدع لـنظام وانتظام
هذه المصنوعات . فالعقل . في الإسلام . هو أداة الإيمان بجوهر
الدين - الألوهية . . وبعبارة الإمام محمد عبده (١) . ذكر أساس
وضع عليه الإسلام هو العقل العقلي ، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان
الصحيح . فقد أدرك منه على سبيل الحجة ، وفاصلاً إلى
العقل ، ومن فاصلاً إلى حاكم فقد أدى إلى سلطنه . .
(الأعمال الكاملة) ج ٣ ص ٣٠١ . دراسة وتحقيق د . محمد
عمارة - طبعة القاهرة - دار الشروق سنة ١٩٩٢ م .

وذلك على حين كان العقل غريباً ومستبعداً من سبل الإيمان
في حقب الرسائل السابقة على الإسلام . . حقب المعجزات
المدهشة المعقولة ، عندما كانت الإنسانية في مراحل الضمولة
«خرافاً ضالة» ، تؤمن بما يلقي إلى قلبها ، دون إعمال عقل ، لأن
الإيمان لا يحتاج إلى إعمال عقل . . وفق عبارة الفديس والفيلسوف
النصراني «أنطيم» (أنطيم) ١٠٣٣-١١٠٩ م .

ورابعها: أن المقابلة بين «العقل» و«النقل» هي أثر من آثار اشتباكات
المتافقية التي تيزّرت بها المسيرة الفكرية للحضارة الغربية ، تلك التي
عرفت لا هو ناكسيا - نفلاً - لا عقلانياً ، فجاءت عقلانيتها ، في عصر
النهضة والتنوير الوضعي العلماني ، تورة على النقل اللاعقلاني وشخصاً

له . . أما في الإسلام ، والمسيرة الفكرية لحضارته وأمته . . وخاصة في عصر الإزدهار والإبداع . فإن النقل لم يكن أبداً مقابل للعقل ، لأن المقابل للعقل هو الحنون ، وليس النقل . . ولأن النقل الإسلامي - القرآن الكريم - هو مصدر العقلانية المؤمرة ، والباعث عليها ، والداعي لاستخدام العقل والتفكير والتدبر في آيات الله المنظورة والمسطورة جمبيعاً . . وأيات القرآن التي تحضر على العقل والتعقل تلع تسعه وأربعين آية . . والأيات التي تتحدث عن «اللُّغَةِ» - معنى عقل وجوهر الإنسان - هي مت عشرة آية . . كما يتحدث القرآن عن «الْأَنْهَىِ» - معنى العقل - في آيةين . . وعن الفكير والتفكير في ثمانية عشر موضعأً . . وعن الفقه والتتفقه - بمعنى العقل والتعقل - في عشرين موضعأً . . وعن «التدبر» في أربع آيات . . وعن «الاعتبار» في سبع آيات . . وعن «الحكمة» في نسعة عشر آية . . وعن «القلب» - كأدلة للفقه والعقل - في مائة واثنين وثلاثين موضعأً . . ناهيك عن آيات العلم والتعلم والعلماء التي تبلغ في القرآن أكثر من ثمائة آية . . فالنقل الإسلامي - أي الشرع الإلهي - هو الداعي للتعقل والتدبر والتتفقه والتعلم . . والعقل الإنساني هو أداة فقه الشرع ، ووسط ومتاط لتدبر بهذا الشرع الإلهي . . ولذلك ، لا أثر للشرع بدون العقل ، كما أنه لا غنى للعقل عن الشرع ، وخاصة فيما لا يستقبل العقل بإدراكه من أمور الغيب وأحكام الدين

ذلك أن العقل ، مهما بلغ من العقمة والتألق في الحكمة والإبداع ، هو ملكة من ملكات الإنسان ، وكل ملكات الإنسان - بالخبرة التاريخية والمعاصرة - هي نسبة الإدراك والفلورات ، تحمل اليوم ما تعلمه غداً ، وما يفصح عنه عقل الواحد بلعنه عقل الآخر .. وإذا كانت ميادين عالم الشهادة - النصر والكون - أى الديان - مفتوحة على مصاريعها أمام العقل وأمام التجربة - بالنسبة للإنسان - فإن هناك ميادين - وخاصة في معارف عالم العص - سهل معرفتها التفلى - أى الوجه - والوحدان - القلب والإيمان . فالهدایات التي يهتمى بها الإنسان هي «العقل» و«الشغل» و«التجربة» و«الوحدان» .. ولنست العقل وحده دون سواه . ويتبع الهدایات وسبل المعرفة الإنسانية ، مع نوع مصارير المعرفة الإنسانية - الوجه وآيات الله المسطورة ، مع الكون وآيات الله المنظورة - تتكامل وتتوازن المعرفة الإنسانية . وهذه هي نظرية المعرفة الإسلامية - بينما يحتل توازن هذه المعرفة إذا هي وفت - في المصادر - عند الكون وعالم الشهادة وحده - وهي الوسائل وإدراك المعرفة عند العقل وحده . أو العقل والتجربة وحدهما . دون التفلى والوحدان . ولقد عبر عن هذا التكامل والتوازن في نظرية المعرفة الإسلامية الإمام محمد عبد العزى (١٢٦٥-١٣٢٢هـ ١٨٤٩-١٩٠٥م) عندما تحدث - في تفسيره لأية - أهداها الصراط المستقيم - من

سورة الفاتحة - عن «اليهوديات الأربع» - العقل ، والنقل ، والتجربة ، والوحدان .. كما عبر عن النلازم الضروري بين العقل والنقل ، لتكامل المعرفة الإسلامية . عندما قال : «فَالْعُقْلُ هُوَ يَسْعُّ الْبَقْرِ» في الإمام بالله ، وعلمه وقدره ، والتصديق بالرسالة . أما النقل ، فهو يتسع فيما يعد ذلك من علم العرب ، كأحوال الآخرة والعادات ، والقرآن - وهو شعر الخلق . دعا الإسلام الناس إلى التغافل عقولهم . فهو معجمٌ تفرضت على العقل ، وعمّته المخاصم فيها ، وأصلحت له حق التغافل في أحيانها ، ونشر ما انطلق في أحيانها . وإذا قدرنا على التبرير ، وجدنا عادة ما يستهين إليه كما أنه إذا هو الوصول إلى معرفة خواص بعض الكائنات التي تقع تحت الإدراك الإسلامي . أما الوصول إلى كنه حقيقته فمعما لا تبلغه قدره . ومن أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن نعتقل بشري أن يصل إليه وحده . لهذا كان العقل محتاجاً إلى غبعن يستعين به في وسائل السعادة في الدنيا والأخرة . . . (الأعمال الكاملة)

جـ ٢ ص ٣٢٥، ٣٧٩، ٣٩٧ .

فإنما الإسلام لا يعرف - على الإطلاق - هذه الثنائية المتناقضة بين العقل والنقل .. وصربيع العقول لا يمكن أن يتعارض مع صحيح النقول . ولقد عبر الإمام محمد عبده عن ما قد توصله البعض لعارضه عندما صاغ حقيقة هذه القصبة فقال : «لقد تحرر من

المسلمين أن الدين إن جاء بشيء قد يعلو على الفهم ، فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل . . . (الأعمال الكاملة) ج ٢ ص ٢٥٧ . . ففراق بين ما يعلو على إدراك العقل ، من بعض أمور الدين ، وبين ما يستحيل في العقل - الذي هو في ويرأ منه الدين . .

ومن بين علماء الإسلام الذين عبروا بصدق وعفوية - عن تكامل العقل والنقل - الحكمة والشريعة - حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠-١٠٥٨ هـ / ١١١١-١٠٥٨ م) عندما قال : «إن أهل السنة قد تحققوا أن لا معاذلة بين الشرع المقول والحق المعمول ، وعرفوا أن من هن وجوه الحمود على التقليد وتابع الظاهر ، ما أتوا به إلا من صعف العقول وقلة البحاثة . وإن من نغلغل في تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع ، مما أتوا به إلا من خبث الصياغ . فصيغ أولئك إلى التفريط ، وبطيل هؤلاء إلى الإفراط ، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط . . فمثال العقل انبصر السليم عن الآفات والأذاء ، ومثال القرآن : الشعس المشترة الضباء ، فلأخلق أن يكون طالب الاهتداء المستغنى إذا استعن بأحدهما عن الآخر في غمار الأغيب . . فلا فرق بينه وبين العميان . فالعقل مع الشرع ثور على ثور . . (الاقتصاد في الاعتقاد) ص ٢ ، ٣ . ضعة مكتبة صبيح . القاهرة .

وهذه العلاقة بين العقل والنقل - علاقة التكامل والتلاؤ - هي التي أكدت عليها أبو الوليد ابن رشد (١١٢٦-٥٢٠ هـ / ١٩٩٨م) عندما قال: «... فبالما ، معتبر المسلمين ، تعلم ، على القطع ، أنه لا يؤدي النظر البرهانى إلى مخالفته ما ورد به الشرع ، فإن الحق لا يصاد بالحق ، بل وافقه وتبهله ... فالحكمة هي صاحبة الشريعة ، والأحت الرصيعدة ... وهم المصححتان بالطبع ، المتحادتان بالخواص والعربيات ...». افضل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال اص ٣١، ٣٢، ٦٧ . دراسة وحقيقة د. محمد عماره . طبعة دار المعارف - القاهرة - سنة ١٩٩٩م .

فالبيان مفتتح على مصراعية أمام العقل في سائر مبادئ عالم الشهادة .. وهو سبيل اللغة والفهم والتکلیف في الشرع والدين .. لكن لا بد من مؤازرة الشرع والنقل للعقل فيما لا يستقل العقل بإدراكه من أحوال عالم الغيب والحكمة والعمل في وراء بعض أحكام العبادات في الدين .. وما قد يندو من تعارض - عند البعض - أحياناً بين العقل والنقل ، فهو تعارض بين العقل وبين «ظاهر» النقل - وليس حقيقة معنى النقل ... أو مرجعه إلى تخلف «صحة» النقل .. أو تخلف «صرامة» العقل .. أو وجود ما يعلو على الفهم ، لا ما ينبع من العقلي . فالعقل مع الشرع - كما في حجۃ الإسلام العربي . «بور على بور» .. وما الحديث

عن التعارض بينهما إلا أثر من آثار الغلو في أحدهما ، تغريباً أو إفراطاً . .

وإذا كانت البداهة والخبرة الشيرية . وحني الحكمة الفلسفية . .
تقول : إن من مبادئ الدين والشرع ما لا يستغل العقل بإدراك
كتبه وحقيقة جوهره ، فكيف يجوز العاقل أن يدخل إلى حكم
العقل وحده في كل أساسات الدين؟ ! . لقد قال الفيلسوف
القديس أبو الوليد ابن رشد . وهو الذي احتج عقلائمه المتألهة
الأوروبية والاسلامية جميعاً . قال عن رأي الفلسفة القداماء في
مبادئ الشرائع التي لا يستغل العقل بإدراكها . إن الحكماء من
الفلاسفة ليس بمحاجة عذهم التكلم ولا الجدل في مبادئ الشرائع .
مثل : هل الله تعالى موجود؟ وهل السعادة موجودة؟ وهل العصائر
موجودة؟ ! . وفاعمل ذلك عندهم محاجة إلى الأدب الشعري ، ولذلك
وجب قتل الزنادقة . فيجب على كل إنسان أن يسلم مبادئ
الشرع ، لأن مبادئها أمور إلهية تخرج العقول الإنسانية . وكيفية
وجودها هو أمر معجز عن إدراك العقول الإنسانية ، فلا بد أن يعترض
بها مع جهل أسبابها . . (تهافت التهافت) ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،
١٢٥ . طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣ م . .

فليس هناك عذر يحكم العقل فيما لا يستغل العقل بإدراكه ،
من مبادئ الشرائع والمعجزات . وكنه وجوده وحقائق المعجزات

وليس هناك عاقل يعقل أو ينهاقل عن مكانة ودور العقل في دين الإسلام .

وإنماك وظيفة العقل - ومبدأ عمله - وحدود قدراته ، هو لاحترام للعقل ، وليس فيه انتقاص من سلطانه ، الذي تألق في دين الإسلام وفكرة المسلمين .

الشبة السابعة: حول النظام المصرفى المعاصر

وهم يقولون: إنه يجب تجنب النظام المبتكري الغربي المس على الربح، لأن السوق الإسلامية، وخاصة العقارية منها، يجب أن تقدم القروض على أساس استرداد هذه الأموال معملاً عليها نسبة تعطى التضخم الاقتصادي وتفقات تعطي خدمات البنك ونسبة نابضة من الربح، ويبدون هذا الربح فيك هذه السوق مستقتصة، ويذكرون على أن السوق الإسلامية فاشلة، وهي تعمل بنفس عقل السوق الغربية، ولكن يسمى آخر، مثل الرابحة أو ما شاءه ذلك، وبهذا يعيشون على السوق الإسلامية صفة العزف والتلاعف بصفة مطلقة، إلخ.

الجواب:

إن موقف النقد الإسلامي المعاصر من المعاملات المصرفية الإنسانية في العالم الحديث والمعاصر، قد كثرت فيه العديد من المدراس، وقد صدرت حوله العديد من الفتاوى، الفردية والجماعية، وهو موقف لا يعمم الحال ولا الحرمة علىسائر المعاملات المصرفية، وإنما يميز بين ما هو حلال وما هو حرام في هذه المعاملات.

وأغلب الجدل الذي دار ويدور في ساحة النقد الإسلامي المعاصر قد انصب على الفوائد البنكية الخدمة سلفاً، التي تعطىها المصارف لأصحاب المدخرات، والتي تأخذها من أصحاب القروض.

ودون دخول في التفاصيل - التي مكانها الدراسات الفقهية المتخصصة - فيحسن - في هذا المقام - التذكير بأصل القضية ، للوصول فيها إلى كلمة سوا .

فأولاً، إن هذا النظام المصرفى ، السائد الآن في العالم المعاصر ، هو نظام عربى ، نشأ مع النظام الرأسمالى العربى ، في إطار الحضارة المسيحية الغربية ، ولأن المسيحية ، كالملايين ، تحرم الربا ، الذي هو هي جوهره . مال يشعر مالاً دون عمل . فلقد تخرج المسيحيون العرب من إقامة المصارف الربوية . مع أنها ضرورة من الضرورات الضرورية بالنظام الرأسنالى - الذي هو في جوهره تعظيم لرأس المال على حساب العمل .

ولأن اليهود قد حرقو موقف اليهودية من الربا ، فجعلوه حرفاً فيما بينهم خاصة ، وحالاً مع غيرهم . فلقد تصدعوا هم بتأييدهم المصارف الربوية ، وعملوا بها ، وأخترعوا صاعتها ، وبرغوا فيها . وظلوا كذلك حتى سادت النسخة الوضعية العلمانية المتعة . « البرجمانية » . في المجتمعات العربية . فتراجع حاكمة المعاير المسيحية ، ودخلت المسيحيون العرب هذا البلد مع اليهود ، ونافسوا بهم في .

وثانياً، إن بلادنا الإسلامية . وكل حضارات وآئم الحروب التي تعرف هذا النظام المصرفى الربوى إلا عندما جاءها - مع النظام الرأسنالى - في ركاب العروبة الاستعمارية الأوروبية الحديثة لبلادنا . ولذلك ، يجب التشير بين قدم الممارسات الربوية ، عند التاريخ القديم والحضاريات القديمة وبين هذا النظام المصرفى المعاصر ،

الدى نشأ - كنظام سائد وحاكم - مع سيادة الرأسمالية وتحكمها ، والذى «تعولم» مع الغروة الاستعمارية الأوروبية الحديثة .

وثالثاً: فيسبت من كون النظام المصرفي الربوى هو ثمرة من ثمرات النظام الرأسمالى ، وضرورة من صروراته ، ولازمة عن لوازمه . للاشتراك فى فلسفة تعظيم رأس المال على حساب العمل . كان رفض الاقتصاد الاشتراكي والتى يوعى لهذا النظام . لأن الفلسفة الاشتراكية تعظم العمل بدلاً من رأس المال . على عكس الرأسمالية . ولذلك فهو يمنع الربا ، الذى هو : مال يشعر ويجلب ما لا دون عمل .

ورابعاً: إن فلسفة الموقف الإسلامى من المال والنقد تتلخص فى أنه مقابل عمل أو سلعة أو خدمة أو متقطعة ، وليس المال والنقد . في ذاته . سلعة تباع وتشرى . وهذا هو لف الفلسفة الإسلامية التى تحرم التجارة بالنقد ، وجعل المال يتمثل ما لا يدون عمل . وهي هذا الموقف تتفق الفلسفة الاشتراكية مع فلسفة الإسلام فى التقوى والأموال .

خامساً: إن تركيز كل الجدل الفقهي الإسلامي المعاصر - إزاء المعاملات المصرفية - على تحديد العائد من المدخرات أو عدم تحديده ، هو ابتعاد عن جوهر القضية ، فقد يكون تحديد العائد تنظيماً يفيد أصحاب المدخرات ، الذين هم الجانب الأضعف فى المعادلة الادخارية ، ويحجبهم من ظلم قائم أو محتمل من أرباب المصادر ، الذين يمثلون الجانب الأقوى فى هذه المعادلة . ومطلوب من الفقه الإسلامي أن يركز على جوهر فلسفة الإسلام فى المقدود والأموال . أى أن تكون الأموان بدلاً لعمل . وليس سلعة يناجر

بها ، فتأنى بأموال . فوائد . دون عمل عصاف . . ولذلك ، فإن النظام المصرفى الإسلامى هو النظام الذى يقيم المصارف ، لا تستاجر فى المدخرات ، وإنما يتوظف هذه المدخرات وتشارك بها فى التنمية المجتمعية الشاملة لختلف المياوبين . . فالمصارف الائتمانية - أى التى تشارك بمدخراتها فى التنمية - هى المصارف الإسلامية الحقة ، حتى ولو لم تسم نفسها إسلامية . . والمصارف غير الائتمانية ، التى تعمل فى إعادة اقراض مدخراتها ، وتعيش على الفروق بين حوالى الافتراض والإفتراض . . بصرف النظر عن الأسماء التى تعتنقتها على هذه العملات . . هي مصارف غير إسلامية ، حتى ولو سمت نفسها إسلامية . .

وفى صورة هذه الحقيقة نقرأ الفتوى الشهيرة للإمام محمد عبد الصوفير (١٢٦٥-١٣٢٣هـ ١٩٤٩-١٩٥٠م) بحلّ عائد مدخرات «صناديق التوفير» ، لأن صناديق التوفير كانت مؤسسة حكومية ، تأخذ المدخرات لتتبئى بها الحكومة مدارس ومصانع ومستشفيات . . فكانت صورة من المصارف الائتمانية ، ولم تكن صورة من مؤسسات التجارة بالنقود والأموال . .

وإذًا ، إن رؤية الأئمة التى وصل إليها النظام الربوى المعاصر ، هي الكفيلة بتبني عظمة العدل الإسلامى المتجسد فى فلسفة الإسلام إزاء النقود والأموال . . فالتضخم - الذى يمثل سلطان النظام المالى الرأسمالى资料 - هو ثمرة من ثمرات جنون التجارة فى النقود والأموال . . والمضاربات الجهنمية على أسعار الأسهم فى البورصات العالمية . . وهى التى حررت وتخرجت الكثير

من التجارب التنموية ، ونهدر عرق الأتم وكذبح الشعوب - هي واحدة من التحمرات المرة للنظام الربوي ، والتجارة في النقد والأموال . . وإذا علمنا أن ٧٩٧ من رأس المال العالمي العالمي . . أي ١٠٠ تريليون دولار - مبوظفة في السمرة والمصارف . . أي هي الربا والتجارة في النقد . . وأن ٣٪ فقط من رأس المال العالمي العالمي . . أي ٢٥ تريليون دولار - هي المرضفة في التجارة والضائعة والخدمات . . علمنا أن مأساة الرأسمالية المتوجهة ، وبطبيعتها الربوي ، أنسع وأفعع من قضية تحديد العائد من المدخر أو عدم تحديده ، تلك التي شاعت وتشعل أطراف الحديث المقيمين حول الموقف الإسلامي من معاملات البنوك ! .

وسابعاً: إذا كان النظام الربوي لم يمرة من التحمرات التعصبة بالنظام الرأسمالي ، وجرأة من فلسفة الرأسمالية إزاء النقد والأموال ورأس المال . . وإذا كان هذا النظام الرأسمالي - على تفاوت في صور حده ووحشنته . . هو السائد الأد في كل أنحاء العالم . . فإننا يجب أن ننظر إلى النظام الربوي بظرفنا إلى «الثبوت» الذي عم بلاؤه سائر أرجاء الكوكب الذي عليه نعيش ، فلقد أصبح روحًا سارية في كل المعاملات . . ونحن بجزانه أيام ضرورة وبلاء عام . كمثل الثبوت الذي أصاب علوم البيئة في عصرنا . . فالتعامل الإسلامي مع هذا الواقع هو التعامل مع الضرورات . فواجب لا تريف دين فنقول إن هذا النظام المصرفى الربوى حلال . . وهي ذات لبيقت لا يعتصم عيوبنا عن عناصر الضرورة فيه فنطلب من الناس الامتناع عن التعامل مع هذا الواقع

الحاكم بكل الاقتصاديات . . . وهذا تأثير قواعد التعامل الإسلامي مع الضرورات ، التي تقدر بقدرها ، والتي تعامل كضرورات يسعى الناس إلى الخروج من أسبابها وملابساتها وثمراتها . وليس إلى تكريسها بلزعم أنها هي الطبيعية والقاعدة والحلال . وكذلك تأثير قاعدة تبريل الحاجة الشديدة والملاسة مبنية الضرورة .

وهذا - أيضاً - تأثير أهمية التوك الإسلامية ، التي وإن لم تستطع الحياة من «النبلوت الربوي» السائد عالمياً إلا أن وجودها وأدسانها تعلم الرفض القبول وتأنيد هذا النظام .

وناهياً إن إدانة النظام المسرفي الربوي فريضة من فريضات العقيدة الإسلامية المعاصر . وإن بعث برانتها في فلسفة الإسلام [إذ الأموال والتقدّم . بدءاً بما كتبه حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠-٥٥٥هـ/١٠٥٨-١١١١م) في كتاب (احباه علوم الدين) عندما قال : «القد حلّ لله الدنانير والدرارهم حاكمين ومنوسطين بين سائر الأموال ، حتى تقدر الأموال بهما . خلقهما للتداولاً لهما الأيدي . وللتوصّل بهما إلى سائر الأشياء . ولا غرض في أعيانهما . بل هما وسيلة إلى كل عرض . وكل من عمل فيهما عملاً لا يليق بالحكم . بل يخالف الغرض المقصود بالحكم ، فقد كفر بعنة الله فيهما . فمن كثراًهما فقد ظلمهما ، وأبطل الحكمة فيهما . وكل من عامل معاملة الربا على الدرارهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم ، لأنهما خلقا لغيرهما لا لغيرهما ، إذ لا غرض في عينهما . ولما من معه تقدّم ، فهو جائز أنه قد يسيء بالتقدّم ، فيتحاذم التعامل على التقدّم غاية عمله . فيبقى التقدّم مقيداً عنده ، ويتزلّف منزلة المكتور . فلا معنى لبيع التقدّم بالتقدّم إلا اتحاذ التقدّم مقصود الادخار ، وهو فتنم .

فكل ما خلق حكمة فلا ينفع أن يصرف عنها». ج ١٢ ص ٢٢٢٠ ، ٢٢٢١ . كتاب بصير الشكر . طبعة دار الشعب . القاهرة .

إن بعث هذا التراث - منه الغزالي وحتى الاحتفادات الحديثة والمعاصرة - واجب من واحات العقل المسلم المعاصر . لكن هذا شيء ، وتحويل فلسفة الإسلام في الأموال إلى تدوين قائم في أرض الواقع شيء آخر . وإن في أيام عثرات - بل ومتنا - المتوك الإسلامية لم يعبر الواقع «التلوت الربوي» ، الذي هو جزء مخصوص من النظام الرأسمالي الحاكم للعالم بأسره . وكما اضطررت منهومة البلاد الاشتراكية - قبل انتهاها - إلى التعامل بالربا - في المياديل العالمية - رغم رفضها له ونورتها على فلسفتها . فظلت البلاد الإسلامية ، بما فيها المتوك الإسلامية - مضطجعة لاستئصال هذا «التلوت الربوي» ، حتى ولو أطلقـت عليه أسماء أخرى ! وستبقى المفارقة المصححة في موقف دعوة المتوك الإسلامية المناصريـن - في ذات الوقت . للنظام الرأسمالي ، دون إدراك أن الرأسمالية هي الأب الشرعي للربا الذي يحاربون !

أما السبيل إلى الخروج من هذه «أجدر المأني العالمي» . فهو تحول العالم الإسلامي - بانتكامل الاقتصادي . والسوق الاقتصادية المشتركة . والاعتماد المتداول - إلى كتلة اقتصادية منحدرة . وعندئذ يمكن لها أن تقول للآخرين : إن لنا فلسفة متصرفة في القوـد والأموال يجب مراعاتها في التعامل معنا . فالمطلوب أن تتجاوز ، نحو المسلمين ، النـظام الاقتصادي الذي أثمر ويشـمر النـظام المـصرفي الـربوي ، وأن تكون من القـوة بحيث يتعـامل معـنا الآخـرون وفق

فلسفتنا في النقد والأموال ..

وإذا كان عقلاً الغرب يشكوك من الكوارث الدورية للنظام الرأسمالي . وإذا كان من هؤلاء العقلاً من ينفت الآن إلى النظام الإسلامي الازبي . فإن الوحيدة الاقتصادية للمعالم الإسلامية ، ونطريق المسلمين لفلسفة إسلامهم هي النقد والأموال . سيلمع الناظر العالم أكثر وأكثر إلى هذا النظام الازبي ..

نعم . هو طريق أراق . وطويل . لكنه . وحده . هو الطريق . طريق تهضنة المسلمين بالإسلام وإبلاغ دعوته إلى العالمين ، وإزالة الشبهة عن هذه الدعوة ، وإقامة حجّة الإسلام على العالمين ..

أما الاستسلام لطاغوت الرأسمالية المترسبة ، والتسليم بالنظام المصرفى الرأسمالى ، الذى عولم «التلوت الربوى» ، فهو يأس وقنوط من ظهور الإسلام على الدين كله ، ومن ظهور الخلول الإسلامية لمشكلات الإنسانية على غيرها من الخلول .. وهو يأس وقنوط لا يليقان بالمؤمنين ! ..

أما التخندق الفكري حول تحديد أو عدم تحديد سعر العائد من مدخلات البنوك . فهو أئمه ما يكون باحتصاره ضل فرع الشجرة بحسانه الشجرة وما فيها من فروع .. وهو وهم نتصدى أن يبرأ منه أهلـه ، إن شاء الله ..

المؤلفات

- ١ - الصحوة الإسلامية في عيون غربية
- ٢ - العرب والإسلام
- ٣ - أبو حيان التوحيدي
- ٤ - دراسة فرائية في فقه الشجنة الحضاري
- ٥ - ابن رشد بين الغرب والإسلام
- ٦ - الانتماء الثقافي .
- ٧ - تصوير العالم .
- ٨ - التعليدية الروية الإسلامية والتحديات .
- ٩ - صراع القيم بين الغرب والإسلام
- ١٠ - د. يوسف القرصاوي : المدرسة
ال الفكرية والمشروع الفكري
- ١١ - تأملات في التفسير الحضاري للقرآن الكريم .
- ١٢ - عندما دخلت مصر في دين الله
- ١٣ - الحركات الإسلامية رؤية القيادة
- ١٤ - المنهاج العقلي .
- ١٥ - التمودج التناهري
- ١٦ - منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق .
- ١٧ - تجديد الدين بتجديد الدين
- ١٨ - الشوابث والتغيرات في الوقفة
الإسلامية الحديثة .
- ١٩ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم
- ٢٠ - التقديم والإصلاح بالتأثير الغربي
- ٢١ - فكر حركة الاستئثار وتأصيلاته

- ٢٢ - حرية التعبير في الغرب من سلمان
رشدي إلى روجيه جارودي .
- ٢٣ - إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين .
- ٢٤ - الحضارات العالمية تدافع؟ .. أم صراع؟
- ٢٥ - التنمية الاجتماعية بالغرب؟ .. أم بالإسلام؟
- ٢٦ - الحملة الفرنسية في الميزان .
- ٢٧ - الإسلام في عيون غربية ..
- دراسات سويسرية
- ٢٨ - الأقليات الدينية والقومية تنوع
ووحدة .. أم تفتت واحتراق .
- ٢٩ - ميراث المرأة وقضية المساواة .
- ٣٠ - نفقه المرأة وقضية المساواة .
- ٣١ - الدين والتراث والخدانة والتنمية والحرية
- ٣٢ - مخاطر العولمة على الهوية الثقافية
- ٣٣ - الغناء والموسيقى حلال أم حرام
- ٣٤ - صورة العرب في أمريكا .
- ٣٥ - هل المسلمون أمة واحدة
- ٣٦ - السنة والبدعة .
- ٣٧ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان .
- ٣٨ - قضية المرأة بين التحرير والتصرّف حول الأنثى .
- ٣٩ - مركبة الإسلام .
- ٤٠ - الإسلام كما تؤمن به .. ضوابط وملامح .
- ٤١ - صورة الإسلام في التراث الغربي .
- ٤٢ - تحليل الواقع بنهج العاهات المؤمنة .
- ٤٣ - القدس بين اليهودية والإسلام .
- ٤٤ - مآذق المسيحية والعلمانية في أوروبا
(شهادة ملانية)

- ٤٥ - الآثار التربوية للعبادات في الروح والأخلاق .
- ٤٦ - الآثار التربوية للعبادات في العقل والجسد .
- ٤٧ - السنة النبوية والمعرفة الإنسانية
- ٤٨ - نظارات حضارية في القصص القرآني
- ٤٩ - الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين
- ٥٠ - الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان
- ٥١ - عن القرآن الكريم
- ٥٢ - في فقه الأقليات المسلمة
- ٥٣ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعزلة الغربية
- ٥٤ - مركبة التاريخ
- ٥٥ - نقل الأعضاء في ضوء الشريعة والقانون
- ٥٦ - السنة التشريعية وغير التشريعية
- ٥٧ - شبهات حول الإسلام

الفهرس

٣

تقديم

- الشَّبَهَةُ الْأُولَى: حول حفظ القرآن الكريم .
الشَّبَهَةُ الثَّانِيَةُ: حول تاريخية أحكام القرآن .
الشَّبَهَةُ الْثَالِثَةُ: حول حروف فواع بعض سور القراءة .
الشَّبَهَةُ الْرَابِعَةُ: حول عصمة الرَّسُول ﷺ .
الشَّبَهَةُ الْخَامِسَةُ: التشكيك في الأحاديث .
الشَّبَهَةُ السَّادِسَةُ: حول علاقة العقل بالنقل .
الشَّبَهَةُ السَّابِعَةُ: حول النظام المصرفى المعاصر .



لـ: سيد محمد سالم سليمان

إلى القارئ العزيز

فى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التورير الغربى» هو تورير علمانى، يستبدل العقل بالدين،
ويقيم قطعة معتراث ..

فإن «التورير الإسلامى» هو تورير إلهي، لأن الله والقرآن والرسول
صلى الله عليه وسلم : أنوار، تصنع للمسلم توريراً إسلامياً متميزاً.
ولتقديم هذا التورير الإسلامى للقراء، **تصدر هذه السلسلة**، التي
يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر :

- د. محمد عمارة ● المستشار طارق البشري
- د. حسن الشافعى ● د. محمد سليم العوا
- د. فهيمى هوبدى ● د. جمال الدين عطية
- د. سيد دسوقي ● د. كمال الدين إمام

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح، لإتاحة العقل بأنوار الإسلام.

الفائز



الكتبة الوطنية والمستودع

جامعة القاهرة - مصر

الطبعة الأولى - ٢٠١٣ - ٢٠١٤